

٩ ريال

إرشادُ الطُّلابِ

إلى

فَضِيلَةِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْآدَابِ

لِلْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَانِعِ

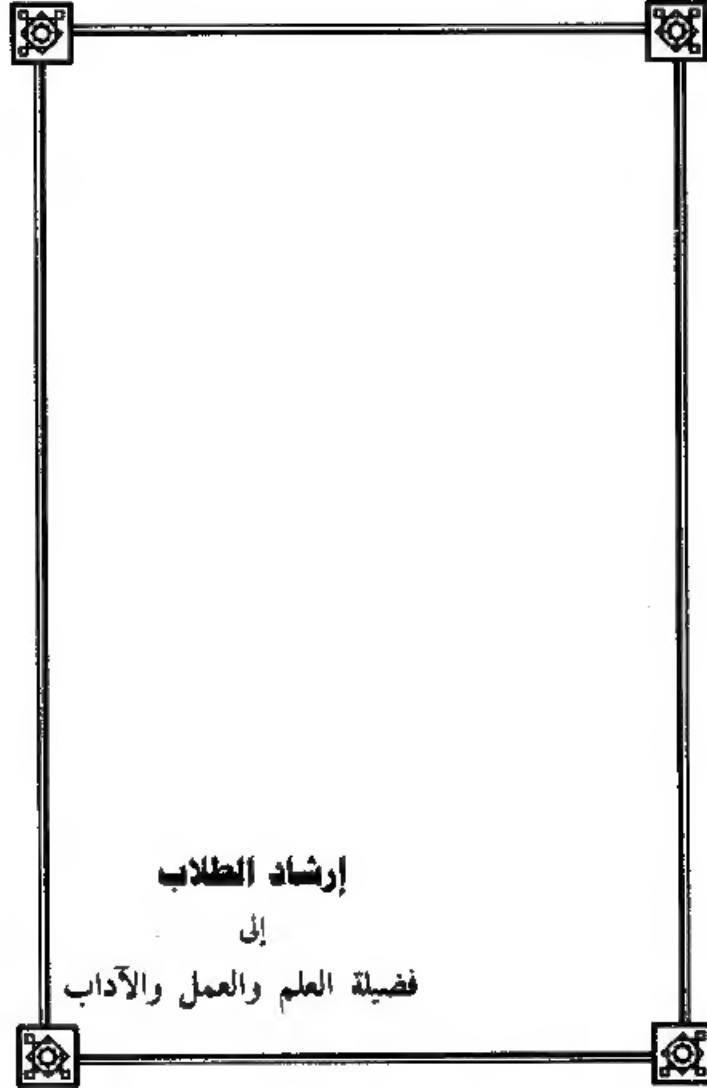
المتوفى سنة (١٣٨٥ هـ) رحمه الله

لتحقيق وتعليق

علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد

الخليفي الأثري

دار الريان



حقوق الطبع محفوظة للناسر
الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

دار اليمان
الإمارات العربية المتحدة
دبا - الفجيرة
ص ب / ١١٦٩٨

إرشادُ الطُّلابِ

إلى

فضيلةِ العلمِ والعملِ والآدابِ

للعلامة الشيخ

محمد بن عبدالعزيز المانع

المتوفى سنة (١٣٨٥ هـ) رحمه الله

تحقيق وتعليق

علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد

الحلي الأثري

دار الريان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا
مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ .
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أما بعد :

فإنَّ العلمَ حياةٌ القلوبِ، وزَيْنُ النفوسِ، ورُشْدُ
العقولِ :

رُبَّ مَنِيْبٍ قَدْ صَارَ بِالْعِلْمِ حَيًّا
وَمُبَقِّيٌّ قَدْ حَازَ بِجَهْلٍ وَعَيْبًا
فَاقْتَنُوا الْعِلْمَ كَيْ تَنَالُوا نُحْلُودًا
لَا تَعُدُّوا الْحَيَاةَ فِي الْجَهْلِ شَيْئًا^(١)

(١) : تاريخ بغداد ، (١١ / ١٧٩) .

لهذا؛ فلا زال الأئمة والمُضلاء يُبينون أثر العلم،
 ويُعرفون الناس بفضله، ويكشفون للطلاب دُرره؛ فإن من
 يجهل فضل العلم وعظيم أثره لا يدنو منه، ولا يبلغ بابه !
 قال الحافظ أبو بكر ابن المقرئ : « مَشَيْتُ بِسَبَبِ
 « نُسخة مُفضَّل بن فضالة »^(١) سبعين مرحلة^(٢)، ولو عُرِضَتْ
 على خِجَارٍ بَرِغِيْفٍ لَمْ يَقْبَلْهَا »^(٣) !!
 ... وما ذاك إلا لأنه لم يعرف فضل العلم، وبالتالي لم
 يُقدِّره حقَّ قدره، ولم يعرف أثره ...
 وهذه الرسالة الثافعة التي أُقَدِّمها إلى الإخوة الأفاضل
 من طلاب العلم مثالٌ حسنٌ على تنبيه الطلاب وإرشادهم إلى
 فضائل العلم، وبيان الأدب في طلبه وإنفاقه .
 قال الإمام محمد بن إبراهيم البوشنجي : « مَنْ أَرَادَ
 الْعِلْمَ وَالْفَقَةَ بِغَيْرِ أَدَبٍ، فَقَدْ اقْتَحَمَ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ
 وَرَسُولِهِ »^(٤) .

(١) يُستدرك على « معرفة النسخ الحديثية » للشيخ بكر أبو زيد .

(٢) هي المسافة يقطعها السائر بين المنزلتين .

(٣) « سير أعلام النبلاء » (٤٠٠/١٦) .

(٤) « المصدر السابق » (٥٨٦/١٣) .

وَمِنْ مِيزَاتِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ أَنَّهَا حَوَتْ أَلْوَانًا مِنَ الْعِلْمِ :
 فَقَدْ حَوَتْ الشَّعْرَ الْبَدِيعَ الثَّاقِبَ ...
 وَحَوَتْ بَيَانَ فَضْلِ الْعِلْمِ وَقُدْرِهِ ...
 وَحَوَتْ أَثَرَ الْعَمَلِ بِالنُّسْبَةِ لَطَالِبِ الْعِلْمِ ...
 وَحَوَتْ ذِكْرَ فَضْلِ الْإِنْصَافِ وَقَبُولِ الْحَقِّ ...
 وَحَوَتْ بَيَانَ بَعْضِ الْمَسَائِلِ الْعَقَائِدِيَّةِ ...
 وَحَوَتْ نُبْدَةً فَرِيدَةً عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ ...
 وَحَوَتْ مَبَاحِثَ عَنِ الْكُتُبِ وَأَهْمِيَّتِهَا ...
 وَحَوَتْ فَصْلًا فِي الْأَذْكَارِ الشَّرْعِيَّةِ ...
 وَحَوَتْ - غَيْرَ ذَلِكَ - أَلْوَانًا مِنَ الْفَوَائِدِ الزَّوَالِدَةِ الَّتِي لَا
 يَسْتَعْنِي عَنْهَا طَالِبُ الْعِلْمِ فِي سَائِرِ مَرَاهِلِ طَلَبِهِ .
 فَهِيَ رِسَالَةٌ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - جَدُّ نَافِعَةٍ وَمُفِيدَةٍ .
 فَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَرْحَمَ مُؤَلِّفَ هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَيَغْفِرَ لَهُ ، وَأَنْ
 يَعْفُوَ عَنِ مُحَقِّقِهَا وَنَاشِرِهَا ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَجِيبٌ .

كُتِبَ

أَبُو الْحَارِثِ الْحَلَبِيُّ الْأَنْطَوِيُّ

خُمُسِي يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ :

٢٦ - صَفَر - ١٤١٣ هـ

٢٥ - آب - ١٩٩٢ م

نُبذة عن ترجمة المؤلف^(١)

- هو محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن مانع بن شبرمة الوُهَيْبي، التَّمِيمِي .
- وُلِدَ ونشأ في « عُنيزة » من القصيم بنجد سنة (١٣٠٠هـ) .
- رَحَلَ في طَلَبِ العلم إلى « بُريدة »، فالبصرة، فبغداد، واستقرَّ في الأزهر .
- طَلَبَ العلم على يدِ عددٍ من المشايخ والعلماء، مثل الشيخ محمد عبده، والشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ محمود شكري الآلوسي، وأكثرَ من مُلازمته والأخذ عنه .
- رَجَعَ إلى بلدته « عُنيزة » سنة (١٣٢٩هـ)، ودُعِيَ للتدريس في البحرين وقطر فأجاب، وولِّيَ الافتاءَ الوعظَ والقضاء .

(١) « الأعلام » (٢٠٩/٦) للزُّركلي، و « المستدرك على مُعجم المؤلفين » (ص: ٦٨٢) لعمر رضا كحالة .

● وفي سنة (١٣٥٨هـ) دعاه الميث عبد العزيز آل سعود للتدريس، مدرس في الحرم المكي، ثم عُيِّنَ مديراً للمعارف في مكة، وولِّيَ رئاسة هيئة تمييز القضاة الشرعي .
● له مؤلفات عديدة مُفيدة، منها :

- ١ - « مختصر عنوان المجد في تاريخ نجد »
- ٢ - « سبيل الهدى في شرح شواهد شرح قطر الندى ».
- ٣ - « الكواكب الدررية على الدرّة المضيئة » .
- ٤ - « إقامة الترهن في تحريم أخذ الأجرة على تلاوة لقرآن » .

● ثم طلب حاكم قطر سنة (١٣٧٧هـ) من السعودية استدائه للعمل فيها، فاستجيب له، فظنّ مُقيماً بها إلى أواخر حياته .

● في أواخر حياته مريض، فسافر إلى بيروت طلباً للعلاج، مات فيها سنة (١٣٨٥هـ)، ثم نُقِلَ إلى قطر، فدفن فيها .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

تَقْرِيطُ « إِرْشَادِ الطُّلَّابِ »^(١)

والإشارةُ إلى جلالَةِ مصنَّفِ مؤلَّفِهِ الفاضِلِ الجليلِ ،
وُبدَةُ من سيرةِ مؤلَّفِهِ .

بقَلَمِ الشابِّ النّجيبِ الفائِزِ مِنَ البِلاغَةِ بأَوْفَرِ الحِظِّ
والنّصيبِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبراهيمَ بْنِ صالحِ الباكِرِ حَفَظَهُ اللهُ
تعالى :

« الحمدُ لله الذي رَفَعَ منازلَ الأبرارِ ، وميَّزَ بالعَمَلِ
الصّالحِ مراتبَ السّادَةِ الأخيارِ ، وأشهدُ أن لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ
وحدَهُ لا شريكَ لَهُ ، إلهٌ على عرشِهِ المجيدِ استوى ، وعلى
مُلكِهِ العَظيمِ احتوى .

وأشهدُ أنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَصِفِيُّهُ وَخَلِيفَتُهُ
وَحَبِيبُهُ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ السّادَةِ الأخيارِ ،
الَّذِينَ هُمُ إِلَى الحَقِّ دَعَاةٌ وَلِلْخَيْرِ قَادَةُ أَبْرارَ .

(١) وهو مُلَحَّزٌ مع الطَّعْنة الأولى ، ومُطَوَّرٌ في آخرِهَا ، مرأيتُ في هذه
الطَّعْنة وَضَعَهُ لي أوَّلًا

أما بعد :

علماً وقفْتُ على كتاب « إرشادُ الطُّلابِ إلى فضيلةِ العلمِ
والعملِ والآدابِ » وجدتهُ كتاباً تَكُونُ من ألفاظِ عِدَابٍ ،
ومواهِتٍ لا تُنالُ بيدِ الاكتسابِ .

ولقد أعجبتني ما رأيتهُ من حُسْنِ تَرْبِيَةٍ ، وما احتوى
عليه من براعةٍ وتقريبٍ ، يجعلُ بذوي النُّفوسِ الزَكِيَّةِ الإِمعانَ
فيه ، والعملُ بما تضمنتهُ وانطوى عليه ، يشهدُ لمؤلفِهِ بحُسْنِ
الاختيارِ ، وأنه من أربابِ الثَّامِلِ والاعتبارِ ، فذلك جَمَعَ هذا
الكتابُ الجليلُ على صِغَرِ حَجْمِهِ ما يُعْجِبُ كُلَّ فاضِلٍ نَبِيلٍ
وقد طالعتُ غيرَهُ من مؤلفاتِهِ الجليَّةِ ، فوجدتها بحُسْنِ
السُّبُلِ ، وكثيرةِ الفوائدِ كفيَّةِ ، كيفَ لا وهي نتائجُ فكرٍ من
أرضعتهُ العلومُ دُرَّ أخلاقها . فأنسَ بها ولم يَرْضَ بخلافها ، رَسُّ
المحافلِ ، وفخرُ الأفاضلِ ، كوكبُ المحدث السَّاطِعِ ، الشيخُ
محمد بن الشيخِ عبدالعزيز المانع ، رفعَ اللهُ قدرَهُ ، وأطلعَ في
سَماءِ الفضائلِ بدرَهُ ، ولا زالَ ملجأً للطَّالِبِينَ ، ومنهلاً رُحلاً
للمُستَفِيدِينَ .

ولقد أجادَ بعضُ علماءِ بَعْدادِ الأعْجَادِ حيثُ قالَ لَمَّا رَأَى

بعض مؤلفات الشيخ التحوّتي^(١) :

دُرُرٌ قَدْ نَثَرَتْهَا أُمُّ دَرَارِي

نَثَرَتْ لَهَا بَدِيعُ نِشَارِ

أُمُّ لَالٍ قَرَنْتَهَا بِجُمَانِ

أُمُّ عُقُودٍ رَصَعَتْهَا بِضَارِ

ومنها .

لَوْ رَأَى بَعْضُ مَا حَوَى ابْنُ هِشَامِ

قَالَ مَهْلًا هَشَمْتُ أَنْفَ افْتِخَارِ

أَوْ رَأَى مَا نَفَرَتْ فِيهِ ابْنُ مُعْطِي

قَالَ جَارَ ابْنِ مَانِعٍ بِنُضَارِ

عَمْرَكَ اللَّهُ هَلْ أَتَيْتَ بِسِحْرِ

أُمِّ بَسِيفٍ سَمَا عَلَى الْأَسْفَارِ

صُغْتُ مِنْ لَفِطِكَ الْبَدِيعَ حُلِيًّا

لِمَعَانِي حُلُومِكَ الْأَبْكُورِ

دُمْتُ يَا مَنْ سَمَا بِفَضْلٍ وَعِلْمِ

فَوْقَ هَامِ السُّهْمِ مَدَى الْأَعْصَارِ

(١) يشير إلى كتاب « شرح شواهد شرح القَطَر »، كما في حاشية

الطبعة الأولى من هذا الكتاب (ص ١١١)

ولما دُعِيَ إلى بلدنا، ولقي الداعي، عُهِدَ إليه بالوظائف
الدينية، والمراتب الشريفة السنية، مثل القضاء الإفتاء،
والوعظ والإمامة في الجمعة، والخطابة في الجامع الكبير،
وبُنيَت المدرسة الأثرية، وعُيِّنَ مدرِّساً فيها، وشكَّرَ الفضلاء
مُسَعِّدَهُ، وحمدوا سيرته ومنجاة، فعَمَّرَ ربوعَ العلم، وأشدَّ
صُروحَ الفهم، وأثنى عليه من طابَ خيمته، وسلمَ من دأبِ
الحسدِ أدبته .

فمن ذلك قصيدة اشتملت على فوائد جميلة، نظمها ذو
الفضل الراسخ، والشرف الشامخ، ذو الفصاحة والبيان،
الشاعر المجيد أحمد بن مُلَّا عبد الرحمن، وهي طويلة تقتطف
منها قوله :

فلا بالأمانِي حصلَ المرءُ رِفْعَةً
ولا جاءَ كَسْلاً ثَمَاهُ ولا الحَمْدُ
فإن رُمِيَ نِيلَ العِزِّ أو نِيلَ رُتْبَةٍ
هَلُمَّ لِمَغْنَى الشَّيْخِ يَحْلُو لَكَ المَجْدُ
تَجِدُ كَرَمًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ رُذْنَهُ
مَدِينَتُكَ وَالْأُنْيَا وَيَدُوكَ السَّمْعُ

ففي قَطْرِ لَاحِت كَوَاكِبُ سَعْدِهِ
وَجَاءَ بِعِلْمٍ فَاضٍ مِنْ بَحْرِ الرُّشْدِ
هُوَ الْعَلَمُ الْهَادِي لِشِرْعَةِ أَحْمَدِ
بِهِ يَهْتَدِي مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَقْدُ
وَلَوْ عَدُّوا أَهْلَ الْعُلُومِ بِكَثْرَةٍ
فَهَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ فِي عَصْرِنَا فَرْدُ
وَمِنْهَا :

هَدُّوا سِرَاعاً نَحْوَ دَرَسِ مُحَمَّدٍ
بِحَضْرِهِ يَزْدَادُ مِنْ فَضْلِكُمْ عَمْدُ
وَعَبْدُ الْعَزِيزِ الْوَارِثُ الْمَجْدُ ذُو الْحَمَى
أَبُوهُ وَأَيْنَ الْمَجْدُ مِنْ مَانِعٍ يَغْلُو
تَسْتَسَلُّ فِرْعَاً مِنْ كَرَامِ أَمَاجِيدِ
وَصِفَتْهُمْ لِلْمَجْدِ قَالَ أَلِ الْقَبَسُ
حَبِيبٌ إِلَى الطُّلَّابِ مِنْ بَرَكَاتِهِ
نَوْ قَطْرِ بِالْعِلْمِ أَسْنُهُمْ كُسْدُ
سَدِيمٌ لَسَانٍ لَا يَمِيلُ لِحَاكِلِ
وَحَاشَاءُ إِلَّا بِالصَّبْرِ هُ الْسَرْدُ

ومن كان قبلاً فيه جهلٌ ورِسَّةٌ
تَبَيَّنَ بعدَ الشكِّ إيقانه يَبْدُو
هنا لَدَ علمٍ شدَّةٌ ونِـــوَرَةٌ
أَصْدَاءُ نَافِقِي المَكْرَمَاتِ لَهُ نِـــوَرَةٌ
وَدَانَهُ مِنْ كَانَ لِلنَّاسِ مَحْسَنَةٌ
دِهَاهُ نَعْلِمُ رَانَهُ الحِلْمُ وَالزُّهْدُ

○○○○○

إرشاد الطلاب

الحمد لله الذي شرح صدر من أريد هدايته
للإسلام، ونور بنور العلم والمعرفة بصائر ذوي العقول
والأفهام .

والصلاة والسلام على نبينا محمد الداعي إلى
دار السلام، وعلى آله وأصحابه السادة الكرام لتجوم
لأعلام .

أما بعد :

فلما كان العلم وفتح الخبرات، وباب السعادات،
وشرطاً غالباً للقرب والطاعات، إذ هو العمل على
شريف لحصول، والموجب محبة ذي العظمة والجلال،
والمنفذ من ظلمات الجهل والضلال، أحببت أن أجمع كتاباً
في فضيلة لعلم والعمل، وكيفية نشره، والدعوة إلى
له، سائلاً منه تعالى أن يحفظني من الخطأ والزلل، ولعله

أن يكون باعثاً لِدَوِي المِصْم على تَطْلُب لآداب والحِكم،
وسُمِّيَتْهُ :

« ارشاد الطُّلاب إلى فضيلة العلم والعمل والآداب »

واللّهُ أَسَدُّ مَنْ يَجْعَلُهُ خَالِصاً لوجهه الكريم، وسبباً
مُوصِلاً إلى مرضاته، والصَّوْرُ بِجَنَاتِ النِّعَمِ .

○○○○○

١ - فِصْلُ

فِي النَّبَةِ وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ عَامِلٍ بَرٌّ إِخْلَاصُهُ لِلَّهِ

قَالَ ﷺ « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ
أَعْمَلٍ مَا نَوَى » (١) ، فَحَبِيزَ ﷺ أَنَّ الْعَمَلَ مُتَعَلِّقٌ بِالنِّيَّةِ ، وَمَنْ
حَسُنَتْ نِيَّتُهُ وَعَمِلَ صَالِحًا ، حَصَدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْكَرَامَةَ ، وَمَنْ
عَمِلَ ضِدًّا ذَلِكَ ، حَصَدَ النَّدَمَةَ :
فَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى ، نَفَعَهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ ،
وَنَفَعَ بِهِ غَيْرَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَمَنْ طَلَبَهُ لِلرَّيَاءِ ، وَاسْتُمِعَتْهُ ، وَبِيلَ الْحُطَامِ ، دَخَلَ حَتَّى
الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢) عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ

(١) رَوَاهُ الْحَارِثِيُّ (رَقْمُ ١) ، وَمُسَمًّى (١٩٠٧) عَنْ مُحَمَّدٍ .

(٢) (رَقْمُ ٢٦٥٦)

وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ (٨٦١) وَالتَّيْمِيُّ فِي « أَحْكَامِ النَّبَا » (٥٩) ،

وَالطَّرَائِفُ فِي « الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ » (١٠٠، ١٩) ، وَخَطِيبُ فِي

« الْجَامِعِ » (٢/١) =

اسْبِي ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ طَبَّبَ ابْنَهُ لِيُمارِي بِهِ السُّفَهَاءَ ،
أَوْ يُجَادِي بِهِ الْعُلَمَاءَ ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وَجْهَ الْمَاسِ بِهِ ، أَدْخَلَهُ
اللَّهُ النَّارَ » .

وَقَدْ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ الضَّارِّ الَّذِي لَمْ
يَنْتَفِعْ بِهِ صَاحِبُهُ ، لِكَوْنِهِ غَيْرَ خَالِصٍ لَوَجْهِ اللَّهِ ، كَمَا فِي
« صَحِيحِ مُسْلِمٍ »^(١) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ،
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « لِلَّهِمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ
عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَتَّقُ ، وَمِنْ
دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا » .

= وفي سنده إسحاق بن يحيى ضعيف
وله شاهد

أُخْرِجَهُ ابْنُ مَاجَه (٢٥٤) ، وابن حبان (٧٧) ، والحاكم (٨٦/١) ،
وابن عدي (٢٢٦) ، والخطيب في « المقيت والمعتق » (٨٨/٢) ، وليبي في
« مسجل » (٤٨٠)

وفي سنده عمه أبي الزبير وابن خريج
وهما مدلسان

وللمحدث شواهد أخرى . يجرم الواقف عليها ثبوته

(١) (برقم ٢٧٢٢)

وروى أبو داود^(١) عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »، يعني ربحها .

وروى الترمذي^(٢) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَخْرُجُ فِي آخِرِ الرَّمَانِ رَجَالٌ يَحْتَبُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، وَيَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الضَّائِنِ مِنَ الدِّينِ، أَلَسْتُهُمْ أَحَلَّ مِنَ الْعَسَلِ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذَّنَابِ »، يقول الله عزَّ وجلَّ : أَلَيْ تَفْعَلُونَ ؟ أم علي تَجْتَرُونَ ؟ ! في

(١) (برقم ٣٦٦٤)

ورواه أحمد (٣٣٨/٢)، وابن ماجه (٢٥٢)، والحاكم (٨٥/١)، وابن عداس في « الجامع » (ص. ٢٣٠)، وخطيب في « الاقتضاء » (١٠٢)، وابن حبان (٧٨) .

وسلده حسن .

وما قبله شواهد تؤكده

(٢) (برقم ٢٤٠٦)

ورواه أبو المبارك في « الزهد » (٥٠)، وابن طريقه ابن عبد البر في « الجامع » (٢٣٢/١)

وفي إسناده : يحيى بن عبيد الله بن موهب، صفة أهل الحديث، وتركه بعضهم، وترجمته في « تهذيب التهذيب » (٢٥٣/١١) مظنة .

خَلَقْتُ لِأَبْعَثَنَّ عَلَى أَرْضِكَ فِتْنَةً تَدْعُ الْحَلِيمَ حَيْرَانًا .
 وقال ابنُ المبارك : ما من شيءٍ أَفْضَلَ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ
 لِلَّهِ ، وما شيءٌ أَبْغَضَ إِلَى اللَّهِ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِغَيْرِ اللَّهِ .
 قَالَ الْعَلَّامَةُ السُّفَّارِينِي فِي « غَدَاةِ الْأَلْبَابِ » (١) عِنْدَ
 قَوْلِ الْإِمَامِ ابْنِ عَبْدِ الْقَوِيِّ :

فَعِنْدِي مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ أَمَانَةٌ
 سَأُدُّهَا جَهْدِي فَأَهْدِي وَأَهْتَدِي
 « وَاعْلَمْ أَنَّ لَزَكَاةَ الْعِلْمِ وَنَحْوَهُ طَرِيقَتَيْنِ :
 أَحَدُهُمَا : تَعْلِيمُهُ لِعَالَمٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى يُنْتَهِي
 عِلْمُهُ بِذَلِكَ ، وَيُزَكِّيهِ .
 وَالثَّانِي : الْعَمَلُ بِهِ ، فَإِنَّ الْعَمَلَ بِهِ أَيْضًا يُنْتَهِيهِ وَيُكَثِّرُهُ .
 وَيَفْتَحُ لِصَاحِبِهِ أَبْوَابَهُ وَخَبَايَاهُ » .
 ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

« وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمَانَةَ تُضَمَّنُ مَالَتَّعْدِي ، أَوْ التَّفَرُّطَ ،
 وَالتَّعْدِي فِي الْعِلْمِ يَشْمَلُ كِتَابَتَهُ عَمَّنْ يَسْتَحِقُّهُ فَيُلْجِمُهُ اللَّهُ
 بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ (٢) ، وَيَشْمَلُ اخْتِزَاةً شَلْبًا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى تَنَاوُلِ

(١) (٤٩/١)

(٢) يَشِيرُ إِلَى حَدِيثٍ . « مَنْ شَرَّ عَنْ عِلْمٍ فَكُنْهُ ؛ أَلْجِمَهُ اللَّهُ =

الدُّنْيَا، وَشَبَكَةٌ يُصْطَادُ بِهَا مُحْطَمُهَا، وَشَمْلٌ عَدَمُ الْإِخْلَاصِ فِيهِ .

وقال العلامة القسطلاني في « شرحه »^(١) لبلحاري عن الكلام على أوّل حديث منه، وهو حديث عُمر رضي الله تعالى عنه^(٢) :

« مَنْ أَرَادَ الْغَنِيمَةَ صَحَّحَ الْعَزِيمَةَ، وَمَنْ أَرَادَ الْمَوَاهِبَ السَّيِّئَةَ أَخْلَصَ النَّيَّةَ، وَمَنْ أَخْلَصَ الْحِجْرَةَ ضَاعَفَ الْإِخْلَاصُ أْحْرَهُ، هَمَّ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِنَّهَا ثَنَاءُ الْمَطَالِبِ عَلَى قَدْرِ هَمِّهِ الطَّالِبِ، وَإِنَّمَا تُدْرِكُ الْمَقَاصِدَ عَلَى قَدْرِ عَنَاءِ الْقَاصِدِ، وَعَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَرَمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ »

« ملجم من نار يوم القيامة »

وهو حديث صحيح، له مرقّ عدّة، أفردته في شرحه مُفْرَدًا

(١) وهو المسمى « إرشاد الساري » (١ ٥٦) .

(٢) وهو حديث « في الأعمال بالنبات » المتقدّم .

٢ - فصل

في الحضر على التعلّم في الصغر

روى الإمام ابن عبد البر^(١) عن أبي أمانة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أئما ناشئ نشأ في طلب العلم والعبادة حتى يكبر وهو على ذلك ، كتب الله له أجر سبعين صديقاً » .

(١) في « جامع بيان العلم » (٨٢/١) ورواه الطبراني في « الكبير » (٧٥٩٠) وفي « مسند الشيبان » (٣٤١٨) ، ونهزم في « موائد » (٢٤٢٨) ، وأشجري في « أماليه » (٥٣/١) .

وفي « سنده يوسف بن عطية لصغار ، وهو متروك . وروى الحديث عن وجوه آخر ، وحكم الذهبي عليه في « الميزان » (٥٣٤،٤) بأنه : « شكراً جداً » !

وانظر « السلسلة الصغرى » (٧٠٠) شيخنا لأباني .

وقال الحسن : « طَلَبَ الْعِلْمَ فِي الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ » .

وَأُنْشِدَ أَبُو حُبَيْدٍ اللَّهُ يَفْطُونَهُ لِنَفْسِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ :
أُرَانِي أُنْسِي مَا تَعَلَّمْتُ فِي الْكِبَرِ
وَلَسْتُ بِنَاسٍ مَا تَعَلَّمْتُ فِي الصَّغَرِ
وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا بِالتَّعَمُّ فِي الصَّبَا
وَمَا الْحِلْمُ إِلَّا بِالتَّحَلُّمِ فِي الْكِبَرِ
وَلَوْ قُلِقَ الْقَلْبُ الْمُعَلِّمُ فِي الصَّبَا
لَأُلْفِيَ فِيهِ الْعِلْمُ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
وَمَا الْعِلْمُ بَعْدَ الشَّيْبِ إِلَّا تَعَسُّفٌ
إِذَا كَلَّ قَلْتُ الْمَرْءُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا اثْنَانِ عَقْلٌ وَمَنْطِقٌ

"فمن فاته هدا وهذا فقد دمر"
قال العلماء : أَفْضَلُ أَوْقَاتِ التَّحْصِيلِ، شَرْخُ الشَّبَابِ،
وَوَقْتُ السَّحَرِ، وَمَا بَيْنَ الْعَشَائِينَ .
وَيَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْتَغْرِقَ جَمِيعَ أَوْقَاتِهِ، فِذَا مَلَأَ
مِنْ عِلْمٍ اشْتَغَلَ بِعِلْمٍ آخَرَ .

(١) أَيِ هُنَاكَ

ولبعض الفضلاء :

بادِرْ إلى طَلَبِ العلمِ الشريفِ وإنْ
صاقتْ ولم تَصِفْ أَقْوَاتُ وَأَوْقَاتُ
ولا تُؤَخِّرْ لِصَفْوٍ أو رَحَا سَعَةٍ

مهم يقولون للتأخيرِ آفاتُ

وقال عمر بن الخطَّابِ رضي الله تعالى عنه : « تَفَقَّهُوا
قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا »^(١).

قلتُ : لَقَدْ نَصَحَ أميرُ المؤمنين غَايَةَ النَّصِيحِ ، فَإِنَّ كَثِيرًا
مَنْ يَلِي الوظائفَ وهو غَيْرُ أَهْلٍ لها ، يَكُونُ ضَحَكَةً وَهَزَاءً
لِلخَلْقِ بسببِ الجَهْلِ بما أُنيطَتْ به عُهْدَتُهُ .

وفي هذا المعنى جاء الحديثُ ؛ وهو قوله : « إِنَّ اللَّهَ لَا
يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ
بَقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اخْتَفَدَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا

(١) عنقه البخاري في « صحيحه » (١/١٦١-فتح) .

وقد فصلَ القولَ في تخريجِهِ ووصلِهِ الحافظُ ابنُ حجرٍ في « نفيقِ
التعليقِ » (٢/٨١-٨٢) .

وانظر « عمدة انقاري » (١/٤٣٦) .

وقوله : « تُسَوِّدُوا » أي تَرَأَّسُوا .

فَسْتَلُوا فَأَفْتُوا بغيرِ علمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا «^١

○○○○○

(١) رواه البخاري (١٧٤/١)، ومسلم (١٧٥) عن عبد الله بن عمرو

قلتُ :

وهذا الحديث الشويّ الجليل، علّم من أعلام سوره ﷺ، فعبّر
الإشارة إلى أمرين عظيمين .

الأول انتشار الجهل في الأمة .

الثاني : بيان سبب ضلالها، وهو دهاب العلماء .

فلا حياة - إذْ - للأمة إلا بشيائها، وفُهائها، وكبرائها، أمّ إذا رُكبت

(استوخة) من هم دونهم من رؤوس (حزبيّة) ودعاة السياسة الضلّة،

فهذه - لا شئت - نذيرٌ خطيرٌ مريرٌ

وللّه المستعان

٣ - فَصْلُ

فِي الْحَثِّ عَلَى حِفْظِ الْعِلْمِ وَبَيَانِ أَسْبَابِهِ

لَا شَكَّ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يُنَالُ إِلَّا بِالْحِفْظِ، وَلَكِنَّ
الْحِفْظَ لَهُ أَسْبَابٌ :

عَظَمَتُهَا : تَقْوَى اللَّهِ

وَمُحَسِّنُ لَيْتِهِ .

وِإِدَامَةُ النَّظَرِ .

وَالْتَرَفُّعُ عَنْ مُجَالَسَةِ السُّفَهَاءِ وَالْبَطَّالِينَ .

وَبِرَحْمَةِ اللَّهِ الْقَائِلِ " :

شَكَوْتُ إِلَى وَكَيْعٍ سَوْءَ حِفْظِي

فَارْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي

(١) انظر « ديوان الشامي » (٥٤) ، و « لقوائد السهية » (٢٣٣) ، و

« شرح ثلاثيات المسد » (٧٩٩، ١)

وَقَالَ أَعْلَمُ بِأَنَّ الْعِلْمَ نَوْرٌ
وَنَوْرُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي
وَمِثْلَ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ عَنْ دَوَاءِ
الْحَفِظِ، فَقَالَ : لَا أَعْلَمُ شَيْئًا أَنْفَعَ لِلْحَفِظِ مِنْ نَهْمَةِ الرَّجُلِ،
وَمُداوَمَةِ النَّظَرِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ فِي أُمِّ وَلَدِهِ لَهُ :
سَلَامٌ عَلَى مَنْ تَيَمَّنَنِي بِظُرْفِهَا
وَلَمَعَةِ خَدَّيْهَا وَلَمَحَةِ طَرْفِهَا
سَبَّحَنِي وَأَصْبَحَنِي فِتَاءَ مَبِيحَةٍ
تَحْيَرَتِ الْأَوْهَامُ فِي كُحُوِّ وَصْفِهَا
فَقُلْتُ ذَرْنِي وَاعْذُرْنِي فَإِنِّي
تَشَفَّيْتُ بِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ وَكَشَفِهَا
وَلِي فِي طِلَابِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالثَّقَى
غِنًى عَنْ غَنَاءِ الْغَانِيَاتِ وَعُزْفِهَا
وَلَمْ يَزَلِ الْعُلَمَاءُ الْأَعْلَامُ يَحْفَظُونَ عَلَى الْحَفِظِ وَالثَّمَمِ لَمْ
يُحْفَظْ، لِيَعْلَمِهِمْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ
الْقَوَائِدِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ - وَهُوَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ شَيْخُ
سَيِّبِيهِ - :

ليس بعلم ما حوى القِطْرُ^(١)
 ما العلم إلا ما حواه الصدر
 وقال بعض الأئمة الأعلام من علماء الأندلس، كما في
 « نفع الطيب »^(٢) :
 تكتبُ العلم وتلقي في منقط
 ثم لا تحفظ لا تغلح قط
 إنما يفتح من يحفظه
 بعد فهم وتوق من غلط
 وقال رحمه الله :
 العلم في القِب ليس في الكُتب
 فلا تكن مغرماً باللهو واللعب
 فاحفظه وافهمه واعمل كي تفوز به
 فالعلم لا يجنى إلا مع التعب
 وقال أعرابي : حروف في تَمُورِكَ خَيْرٌ من عَشْرِ في
 كُتُبِكَ

(١) القِطْر، هو الوعاء تُحفظ فيه الكُتب
 (٢) يستفري، المتوقى سنة (٨٧٥٨) رحمه الله، ترجمته في
 « شذرات الذهب » (١٩٣/٦)

وَالْأَمْرُ : عَلَقَهُ الْقَبْ .
وَسَمِعَ يُونُسَ بْنُ حَبِيبٍ رَحَلًا يُنْشِدُ :
اسْتَوْدَعَ الْعِصْمَ قِرَاطًا قَضِيْعُهُ
وَرِثَسَ مُسْتَوْدِعَ الْعِصْمِ الْقِرَاطِيْسُ

فَقَالَ يُونُسُ : قَاتِلَهُ اللَّهُ^(١) مَا أَشَدَّ صِيَانَتَهُ لِلْعِلْمِ ،
وَصِيَانَتَهُ لِلْحِفْظِ ، إِنَّ عِلْمَكَ مِنْ رُوحِكَ ، وَإِنَّ مَالَكَ مِنْ
بَدَنِكَ ، فَصُنْ عِلْمَكَ صِيَانَتَكَ رُوحَكَ ، وَصُنْ مَالَكَ صِيَانَتَكَ
بَدَنَكَ .

○○○○○

(١) هذا دُعاءٌ خرج على غير بابِهِ، يُرادُ به ههنا التَّعَلُّبُ .

٤ - فُصْلُ

فِي ذِكْرِ حِكَايَةِ الزُّهْرِيِّ مَعَ الْخَلِيفَةِ
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ

قال في « فتح المجيد »^(١) : قال في « تهذيب
الكامل »^(٢) عن الوليد المؤدري عن الزُّهري ، قال :
« قَدِمْتُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ
قَدِمْتَ يَا زُهْرِيُّ ؟

قَالَ : قَدِمْتُ مِنْ مَكَّةَ .

قَالَ : وَمَنْ حَلَفْتَ بِسَوْدُهَا ؟

قُلْتُ : عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ .

قَالَ : هَيْسَ الْقَرَبُ ؟ أَمْ مِنْ الْمَوَالِي ؟

قُلْتُ : مِنْ الْمَوَالِي .

(١) (ص ٤٠٤)

(٢) (٢ / ٩٣٤ - مخطوط) .

قال : فَمِمَّ سَادَهُمْ ؟
 قال : قُلْتُ : بِالذِّبَانَةِ وَالرَّوَايَةِ .
 قال : إِنَّ أَهْلَ الذِّبَانَةِ وَالرَّوَايَةِ لَيَتَّبِعِي أَنْ يَسُودُوا .
 قال : فَكَيْسُ يَسُودُ أَهْلَ الْيَمَنِ ؟
 قال : طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ .
 قال : فَمِنْ الْقَرَبِ ؟ أَمْ مِنْ الْمَوَالِي ؟
 قال : قُلْتُ : مِنْ الْمَوَالِي .
 قال : فَمِمَّ سَادَهُمْ ؟
 قُلْتُ : بِمَا سَادَهُمْ بِهِ عَطَاءُ .
 قال : إِنَّهُ لَيَتَّبِعُنِي ذَلِكَ .
 قال : فَكَيْسُ يَسُودُ أَهْلَ مِصْرَ ؟
 قُلْتُ : يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ .
 قال : فَمِنْ الْقَرَبِ ؟ أَمْ مِنْ الْمَوَالِي ؟
 قال : قُلْتُ : مِنْ الْمَوَالِي .
 قال : فَكَيْسُ يَسُودُ أَهْلَ الشَّامِ ؟
 قُلْتُ : مَكْحُولُ .
 قال : فَمِنْ الْقَرَبِ ؟ أَمْ مِنْ الْمَوَالِي ؟
 قُلْتُ : مِنْ الْمَوَالِي ، عَبْدُ نُوَيْبٍ أَعْتَقَهُ امْرَأَةٌ مِنْ هَذِيلَ .

قال : فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ الْجَزِيرَةِ ؟
 قُتْتُ : مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ .
 قال : فَمَنْ الْعَرَبُ ؟ أُمٌّ مِنْ الْمَوَالِي ؟
 قال : قُلْتُ : مِنْ الْمَوَالِي .
 قال : فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ حُرَّاسَانَ ؟
 قال : قُتْتُ : الضُّئْحَاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ .
 قال : فَمِنْ الْعَرَبِ ؟ أُمٌّ مِنْ الْمَوَالِي ؟
 قال : قُتْتُ : مِنْ الْمَوَالِي .
 قال : فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ الْبَصْرَةِ ؟
 قال : قُلْتُ : الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ .
 قال : فَمِنْ الْعَرَبِ ؟ أُمٌّ مِنْ الْمَوَالِي ؟
 قُلْتُ : مِنْ الْمَوَالِي .
 قال : وَبِلَكَ، وَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ الْكُوفَةِ ؟
 قال : قُلْتُ : إِبْرَاهِيمُ التُّخَيْمِيُّ .
 قال : فَمِنْ الْعَرَبِ ؟ أُمٌّ مِنْ الْمَوَالِي ؟
 قال : قُلْتُ : مِنْ الْعَرَبِ .
 قال : وَبِلَكَ يَا زُهْرِيُّ، فَرَجَعْتَ عَنِّي، وَاللَّهِ لَتَسُودَنَّ
 الْمَوَالِي عَلَى الْعَرَبِ فِي هَذَا الْبَلَدِ، حَتَّى يُخْطَبَ لَهَا عَلَى الْمَنَابِرِ

والعرس تحتها .

قال : قُتِلَ : يا أمير المؤمنين ، إنما هو دين ، مَنْ حَفِظَهُ
سَادَ ، وَمَنْ ضَيَّعَهُ مَقَطَ .

فتأمل هذه القصة العجيبة ، وانظر كيف رَفَعَ حفظ العلم
وِدْرأيتُهُ أولئك السادات حتى ارتَفَعَ مقدارُهُم على مَنْ هو
أَرْفَعُ منهم نسباً ، فَلَعَلَّكَ أَنْ تَجِدَ وَتَجْهَدَ فِي حِفْظِ العلم الذي
هو سَبَبُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِمَنْ عَمَلَ بِهِ .

وقال الإمام أبو محمد بن حزم لما حَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
بَعْضِ مَلُوكِ الْأَنْدَلُسِ وَحِشَةً اقْتَضَتْ إِحْرَاقَ بَعْضِ كُتُبِهِ :
دَعُونِي مِنْ إِحْرَاقِ رِقٍّ وَكَأَغْدٍ^(١)

وَقُولُوا بَعْلَمَ كَيْ يَرَى النَّاسُ مَنْ يَدْرِي
فَإِنْ تَحْرَقُوا الْقِرْطَاسَ لَمْ تَحْرَقُوا الَّذِي
نَصَبْتُمْهُ الْقِرْطَاسَ بَلْ هُوَ فِي صَدْرِي
يَسِيرُ مَعِي حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ رِكَائِبِي
وَيَتَرُكُ بَنَ أَنْزِلَ وَيُدْفِقُ فِي قَبْـرِي
وَقَدْ كَانَ عِلْمُ أَوَائِلِ السَّلَفِ بِالصُّدُورِ ، لَا بِالْأَسْطُورِ ،

(١) هي بعض أنواع الورق .

ولهذا احتلموا في جوارِ كتابة الحديث " ، والأصحُّ جوازُهُ؛
لقوله ﷺ : « اكْتُبُوا لِأَبِي شَاوٍ » (٢) .

○○○○○

(١) يُراجع « تقييد العلم » للخطيب العدادي، ففيه تفصيلُ القولِ في
هذه المسألة

(٢) رواه المحرري (١، ١٨٣)، ومسنم (١٣٥٥) عن أبي هريرة .

٥ - فصل

في ذكر أول من صنف من علماء الإسلام

قال الإمام السيوطي في «التدريب»^(١) :
«أما ابتداء تدوين الحديث، فإنه وقع على رأس المئة في
خلافة عمر بن عبدالعزيز بأمره، ففي «صحيح البخاري»^(٢)
في أبواب العلم : «وكتبت عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن
حزم، انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ، فاكتبه،
فإنني خفتُ دُروس^(٣) العلم، وذهبت العلماء» .
قال الحافظ في «فتح الباري»^(٤) . «يُستفاد من هذا
ابتداء تدوين الحديث النبوي، فأفاد أن أول من دونه بأمر
عمر بن عبدالعزيز الإمام ابن شهاب الزهري» .

(١) (٩٠/١) .

(٢) (باب . ٣٤)

(٣) أي : اندثاره

(٤) (١٩٤/١) .

ثُمَّ دُوِّنَتْ اسْتَنْ مَزُوجَةً بِأَقْوَالِ اصْطِحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ، وَفَتَاوَى التَّابِعِينَ، وَأَوَّلَ مَنْ جَمَعَ ذَلِكَ ابْنُ جُرَيْجٍ
سَمَكَةَ، وَابْنُ إِسْحَاقَ، وَمَالِكُ بِالْمَدِينَةِ، وَالرَّبِيعُ بْنُ صَبَّاحٍ،
وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ بِالْبَصْرَةِ، وَسُفْيَانُ
الثَّوْرِيُّ بِالْكُوفَةِ، وَالْأَوْرَاعِيُّ بِالشَّامِ، وَهَشِيمُ بِوَاسِطٍ، وَمَعْمَرُ
بِالْيَمَنِ، وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الحَمِيدِ بِالرَّيِّ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ بِخُرَّاسَانَ،
وَكَانَ هَؤُلَاءِ فِي عَصْرِ وَاحِدٍ، فَلَا يُدْرَى أَتِيَهُمْ أَسَقُ .
وهؤلاء كانوا: فِي أَثْنَاءِ الْمَثْنِ الثَّانِيَةِ

ثُمَّ تَلَا الْمَذْكُورِينَ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِمْ « ١ هـ .
فَظَهَرَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ صَنَّفَ الْحَدِيثَ هُوَ الْإِمَامُ ابْنُ شَهَابٍ
الزُّهْرِيُّ . وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ الْإِمَامُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِهِ
« جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَقَفْصُهُ »^(١)
وَقَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ فِي « تَذَكُّرَةِ الْحَفَازِ »^(٢) فِي تَرْحِمَةِ
ابْنِ جُرَيْجٍ :

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَبِيبٍ : كَانَ - بِعَيْنِي ابْنُ جُرَيْجٍ - مِنْ
أَوْعِيَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَهُوَ وَابْنُ أَبِي عَرُوبَةَ أَوَّلَ مَنْ صَنَّفَ

(١) (٨٨/١) .

(٢) (١٧٠/١) .

الكُتُب « ا.هـ .

قلتُ : فيظهر من تحقيق الحافظ، أنَّ المراد به الكُتُب
المزوجةُ بأقوال الصحابة والتابعين، لا مُطلقاً .
وللإمام شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم
ابن عبد السلام ابن تيمية رحمه الله في الرسالة التي كتبها في
مذهب أهل المدينة^(١) كلامٌ نفيسٌ جديرٌ بالذكر .
قال رضي الله عنه^(٢) :

« أمّا « الموطأ » ونحوه، فإنه صُنّف على طريقة العلماء
المصنّفين إذ ذاك، فإنَّ النَّاسَ على عهد رسول الله ﷺ كانوا
يكتبون القرآن، وكان النبي ﷺ قد نهاهم أن يكتبوا عنه
غير القرآن؛ قال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ كَتَبَ عَنِّي
شيئاً غير القرآن فَلْيُمَحِّضْهُ »^(٣)، ثمَّ نُسخَ ذلك عند الجمهور
العلماء؛ حيث أذن في الكتابة لعبد الله بن عمرو، وقال :

(١) وهي المسماة « صحفة أصوب مذهب أهل المدينة » . وهي مطبوعة

في مصر . بتحقيق ذكره علي يوسف

(٢) (٣٢١/٢٠) - ضمن « مجموع الفتاوى » (

(٣) رواه مسلم (٣٠٠٤) .

« اكتبوا لأبي شاه »^(١)، وكتب يعمر بن حزم كتاباً^(٢).
 قالوا : وكان النهي أولاً خوفاً من اشتباه القرآن بغيره،
 ثم أُذِنَ لما أُمن ذلك، فكان الثامن يكتبون من حديث رسول
 الله ﷺ ما يكتبون، وكتبوا أيضاً غيره، ولم يكونوا يصنفون
 ذلك في كتب مصنفة إلى رَمَن تابعي التابعين، فصنّف العلم،
 فأول من صنّف ابنُ جريج شيئاً في السير، وصنّف سعيد بن
 أبي عروبة، وحماد بن سلمة، ومعمّر، وأمثال هؤلاء يصنفون
 ما في الباب عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين .
 وهذه هي كانت كتب الفقه، والعلم، والأصول،
 والفروع، بعد القرآن، فصنّف مالك « الموطأ » على هذه
 الطريقة .

وصنّف بعده عبدالله بن المبارك، وعبدالله بن وهب،
 ووكيع بن الجراح، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الرزاق،
 وسعيد بن منصور، وغير هؤلاء . انتهى .
 فمما قلناه عن هؤلاء الأئمة يتبين أنّ أول من صنّف في
 الحديث مجرداً، الزهري .

(١) تقدّم تخرجه

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب « دراسات في الحديث أنسوي » =

وأول من جمع الحديث ممزوجاً بكلام الصحابة
والثانعين ابنُ الجريج .

تنبيه : قال في « تذكرة الحفاظ »^(١) : تُوِّمِي - يعني
الزُّهري - في رمضان سنة ١٢٤هـ أربع وعشرين ومئة .

وقال في ترجمة ابن جريج^(٢) : قال الواقدي : مات
ابنُ جريج في أول ذي الحجة سنة ١٥٠هـ خمسين ومئة

وأما أبو بكر بن خزم الذي كَتَبَ إليه عُمر بنُ
عبد العزيز، فهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن خزم - بفتح
المُهْملة، وسكون الزَّاي - الأَصَارِيُّ المدني، المتوفى سنة
١٠٢هـ اثنتين ومئة، في خلافة هشام بن عبد الملك، وهو ابنُ
أربع وثمانين سنة .

ولجده عمرو صحبة، ولأبيه محمد رؤية، وكان نائب
عمر بن عبد العزيز في الإمرة والقضاء على المدينة، كما في
« القسطلاني »^(٣) .

- (١٣٩/١) الدكتور محمد مصطفى الأعظمي .

(١) (١٠٨/١) للإمام للذهبي

(٢) « تذكرة الحفاظ » (١٧١/١) .

(٣) هو : إرشاد الساري ، فانظر (١٩٥/١) منه .

قال : وَتَسَمِّيَةُ الْمُؤَلَّفِ يعني البخاري - إلى جدِّ أبيه ،
ولشهرته به .

قلت : فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الزُّهْرِيُّ إِنَّمَا جَمَعَ الْحَدِيثَ بِأَمْرِ
عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِوَاسِطَةِ نَائِبِهِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ حَزْمٍ ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ .

تَتِمَّةٌ : أَبُو بَكْرٍ الْمَذْكُورُ لَيْسَ هُوَ أَمَّا بَكْرٍ الَّذِي هُوَ أَحَدُ
الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ لِتَأْظِمُ بِقَوْلِهِ ^(١) :

إِذَا قِيلَ مَنْ فِي الْعِلْمِ سَبْعَةٌ أَبْجَرِ
رَوَايَتُهُمْ لَيْسَتْ عَنِ الْعِلْمِ خَارِجَةٌ
قُلْ : هُمْ عُيَيْدُ اللَّهِ عُرْوَةُ قَاسِمٌ
سَعِيدٌ أَبُو بَكْرٍ سُلَيْمَانٌ خَارِجَةٌ

فَإِنَّ هَذَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْخَارِثِ بْنِ هِشَامِ
الْقُرَشِيِّ الْمَخْرُومِي .

قَالَ ابْنُ خُلِّكَانَ ^(٢) : « أَحَدُ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ بِالْمَدِينَةِ ،
وَكُنْيَتُهُ اسْمُهُ

قال : وَكَانَ مِنْ سَادَاتِ التَّابِعِينَ ، وَكَانَ يُسَمَّى :

(١) قَارَنَ تَعْلِيلِي عَلَى « التَّكْتِ عَلَى تَرْمَةِ النَّظَرِ » (ص ١٤٥) بِقُلِّي

(٢) فِي « وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ » (٢٨٢، ١)

راهب قريش، وأبو الحارث - أخو أبي جهل بن هشام - من
جُملة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ومولده في خلافة عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه، وتوفي سنة ٩٤ هـ أربع وتسعين
للهجرة، رحمه الله .

وهذه السنة تُسمى : سنة الفقهاء^(١)، وإنما سُمِّيَتْ
بذلك، لأنَّه مات فيها جماعة منهم، وهؤلاء الفقهاء السبعة
كانوا بالمدينة في عصر واحد، وعندهم انتشر العلم والفتيا في
الدُّنيا

○○○○○

(١) « حقايق ابن سعد » (١٤٣/٥) .

٦ - فصل

في الحث على تقييد العلم بالكتابة

روى الإمام أبو عمر بن عبد البر في « جامع بيان لعلم وفصله »^(١) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : لما فتحت مكة قام رسول الله ﷺ ، فذكر الخطبة خطبة النبي ﷺ ، قال : فقام رجل من اليمن ، يقال له : أبو شاه ، فقال : يا رسول الله اكتبوا لي ، فقال رسول الله ﷺ : « اكتبوا لأبي شاه » يعني الخطبة .
وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « قيدوا العلم بالكتابة »^(٢) .

(١) (٨٤/١) .

وقد سبق تخرج الحديث

(٢) حديث حسن ، به طرق عدة ، ختمها وحررها ، وطول الكلام

عنه شيخنا الألباني في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (رقم ٢٠٢٦) .

وعن ستوادة بن حيان قال : سمعتُ معدية بن قرة
يقول : مَنْ لم يَكُتُبِ العلمَ فلا تَعُدُّوه عالِمًا .
وعن الأعمش قال : قال الحسن : إِنَّ لنا كُتُبًا
نتعاهدُها .

وقال الخليل بن أحمد : أَجْعَلْ ما تَكُتُبُ بيتَ مالٍ ،
وما في صدركَ للثَّقَّةِ .

وعن سليمان بن موسى قال : يجلسُ إلى العالمِ ثلاثةٌ :
رجلٌ يأخذُ كُلَّ ما سمعَ ، فذلك حاطبٌ ليلٍ ، ورجلٌ لا
يَكُتُبُ ، ويسمعُ ، فذلك يُقالُ له : جليسُ العالمِ ، ورجلٌ يَسْتَقِي
- وهو خيرُهم - ، وهذا هو العالمُ .

وذكرَ المبرِّدُ قال : قال الخليل بن أحمد : ما سمعتُ
شيئاً إلا كُتِبَتْهُ ، ولا كُتِبَتْهُ إلا حَفِظَتْهُ ، ولا حَفِظَتْهُ إلا نَفَعَنِي .
قلت : لَقَدْ نَصَحَ نَفْسَهُ هدا الإمامُ ، وأَفَادَ مَنْ اقْتَدَى
به ، فإنَّ حَفِظَ ما كُتِبَ نَفَعَهُ ، وإلا صارت حالُهُ كحالِ
القائلِ .

أَمَّا لَوْ أَحْيَى كُلُّ ما أَسْمَعُ
وَأَحْفَظُ مِنْ دَاكِ ما أَجْمَسُ

وَمَ أُسْتَعِيدَ عَيْرَ مَا قَدْ جَمَعْتُ
لَقِيلَ أَنَا الْعَالَمُ الْمَقْرَعُ
وَلَكِنِّي نَفْسِي إِلَى كُلِّ فَرْ
مِنَ الْعِلْمِ تَسْمَعُهُ تَنْزَعُ
وَلَا نَا أَحْفَظُ مَا قَدْ جَمَعْتُ
وَلَا أَنَا مِنْ جَمْعِهِ أَشْبَعُ
وَأَقْعُدُ لِلْجَهْلِ فِي مَجْلِسِي
وَعِيسِي فِي الْكُتُبِ مُسْتَوْدَعُ
وَمَنْ يَكُ فِي عِلْمِهِ هَكْدَا
يَكُنْ دَهْرُهُ الْقَهْقَرَى يَرْجَعُ
إِذَا لَمْ تُكُنْ حَافِظًا وَعِيًّا
فَجَنَمُكَ سَكُتٍ لَا يَنْفَعُ

○○○○○

٧ - فصل

في فضيلة العلم وبيان فضله

قال لله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ
وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
[آل عمران: ١٨]

قال الإمام المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى^(١) :
« استشهد سبحانه وتعالى بأولي العلم على أجل مشهود
عليه ، وهو توحيدُهُ ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾
[آل عمران: ١٨] ، وهذا يدلُّ على فضل العلم وأهله من
وجوه .

أحدها : استشهدهم دون غيرهم من البشر .
الثاني : اقتران شهادتهم بشهادته .

(١) في « مفتاح دار السعادة » (١/ ٤٨) بتحقيق وهو تحت الطبع

الثالث : اقترابها شهادة الملائكة .

الرابع : أنَّ في ضمن هذا تركبتهم وتعديلهم ، فإنَّ الله لا يستشهد من خلقه إلاَّ المدول ، ومنه الأثر المعروف عن النبي ﷺ : « يَحْمَلُ هذا العلم من كلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عنه تحريف الغائب ، وانتحال المبطلين ، وتؤويل الجاهلين » (١) .
الخامس : أنَّه وصفتهم بكونهم أولي العلم ، وهذا يدلُّ على اختصاصهم به ، وأنهم أهلُه وأصحابه ليس بمستعار لهم .

السادس : أنَّه سبحانه استشهد بنفسه ، وهو أجلُّ مشهود به وأعظمه وأكبره ، وهو شهادة أن لا إله إلاَّ الله ، والعظيم القدير إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم .

الثامن : أنَّه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين ، فهم بمنزلة أدلته وآياته ، وبراهينه الدالة على توحيده .

وقد أطال رحمه الله بذكر الأوجه الدالة على فضيلة

(١) حديث حسن ، انظر به تعبي عن كتاب « لطفة في ذكر الصحاح السنية » (ص ٧٠) ، صديق حسن خان .

لعلهم مُستنبطاً لها من الآية العظيمة . »

إلى أن قال رحمه الله :

« وقال المزي : رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال : إنَّ

الشياطين قالوا لإبليس : يا سيِّدنا ما لك تفرَّح بموت

العالم ما لا تفرَّح بموت العاصد، والعالم لا نُصيب منه، والعابد

نُصيب منه ؟!

قال : انطلقوا، فانطلقوا إلى عابدٍ، فأتوه في عبادته .

فقالوا : إنَّا نريدُ أن نسألك، فانصرف، فقال إبليس :

هل يُقدِّرُ ربُّكَ أن يجعلَ الدُّنيا في خوفٍ بيضة ؟

فقال . لا أدري .

فقال . أترونه كَفرًا في ساعة .

ثمَّ جاؤوا إلى عامٍ في خلقتِهِ يُضحِكُ أصحابَهُ ويُحدِّثُهُم .

فقالوا : إنَّا نريدُ أن نسألك .

فقال : سئل !

فقال : هل يُقدِّرُ ربُّكَ أن يجعلَ الدُّنيا في خوفٍ بيضة ؟

قال : نعم .

قالوا : كيف ؟

قال : يقولُ : كُنْ فيكون .

فقال : أَتَرَوْنَ ذَلِكَ لَا يَعْدُو نَفْسَهُ ، وَهَذَا يُفْسِدُ عِبْرِي
عَالَمًا كَثِيرًا .

وَقَدْ رُؤِيتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَلَى وَجْهِ آخَرٍ ، وَانْتَهَمَ سَأَلُوا
الْعَابِدَ ، فَقَالُوا : هَلْ يَقْدِرُ رَبُّكَ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَ نَفْسِهِ ؟
فَقَالَ : لَا أَدْرِي .

فَقَالَ : أَتَرَوْنَ لَمْ تَنْفَعُهُ عِبَادَتُهُ مَعَ جَهْلِهِ ؟
وَسَأَلُوا الْعَالَمَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مُخَالٌ ، لِأَنَّهُ
لَوْ كَانَ مِثْلَهُ ، لَمْ يَكُنْ مَخْلُوقًا ، فَكَوْنُهُ مَخْلُوقًا ، وَهُوَ مِثْلُ نَفْسِهِ :
مُسْتَحِيلٌ ، فَإِذَا كَانَ مَخْلُوقًا ، لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ ، بَلْ كَانَ عَبْدًا مِّنْ
عَبِيدِهِ ، وَخَلَقًا مِّنْ خَلْقِهِ .

فَقَالَ : أَتَرَوْنَ هَذَا يَهْدِمُ فِي سَاعَةٍ مَا أُبْنِيَ فِي سِنِينَ ؟
أَوْ كَمَا قَالَ « .

وَرَوَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ^(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ ابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « قَبِيلٌ

(١) فِي « حَامِيهِ » (٢١/١)

وَرَوَاهُ الْخَطِيبُ فِي « الْغَنِيِّ وَلِمَنْعَتِهِ » (١٥١) ، وَابْنُ عُيَيْنٍ فِي « خَلْقِهِ »

(٥١٧٣-١٧٤) ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي « الْمَدْخَلِ » (رَقْم ٤٥٣)

وَسَدُّهُ صَعِيفٌ ، فِيهِ إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي سَيْبَةَ ، وَهُوَ صَعِيفٌ .

مِنَ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعِبَادَةِ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ عِلْمًا إِذَا عَبَدَ اللَّهَ،
وَكَفَى بِالْمَرْءِ كَهْلًا إِذَا أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ، إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ : عَالَمٌ،
وَجَاهِلٌ، فَلَا تُنَارِ الْعَالَمَ، وَلَا تُخَوِّرِ الْجَاهِلَ » .

وَرَوَى أَيْضًا عَنْ أَنَسٍ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« خَيْرُ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ وَخَيْرُ الْعِبَادَةِ الْفَقَهُ » .

وَعَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ : بَابٌ مِنَ الْعِلْمِ بِحِفْظِهِ الرَّجُلُ
لِصَلَاحِ نَفْسِهِ، وَصَلَاحِ مَنْ بَعْدَهُ، أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةٍ حَوْلٍ .
وَقَالَ أَيْضًا : تَذَكُّرُ الْعِلْمِ يَعْضُرُ لَيْلَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ

(١) « جامع بيان العلم » (٢٥١/١-٢٦)

وَفِي سَنَدِهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الثُّلُوثِيُّ، قَالَ أَبُو سَعْيَانَ الشُّرُوحِيُّ - شَيْخُهُ فِي
هَذَا الْحَدِيثِ - : « وَيُكْرَهُ الْحَدِيثُ عَنِ الثُّلُوثِيِّ »

قَالَ شَيْخُنَا فِي « الْمُصَحِّحَةِ » (١٧٩/٤) :

« يُنْسَبُ إِلَى ضَعْفِهِ، وَقَدْ أوردَهُ الأَزهَرِيُّ فِي « الْمِيزَانِ » هَذَا الْحَبْرُ،
وَقَدْ : إِنَّهُ مُنْكَرٌ .

وَمِنْ طَرِيقِهِ أَحْرَجَهُ الدُّبَيْنِيُّ (١١٥/٢) حِينَ الشُّطْرِ الْأَوَّلِ «
قَلْتُ .

وَقَدْ أوردَ شَيْخُ الْقِطْعَةِ الْأَوَّلِ مِنَ الْحَدِيثِ شَوْهَدَ عِدَّةٍ خَرَجَ مَعَهَا
شَوْتَهَا

وَأَمَّا الْقِطْعَةُ الثَّانِيَّةُ : فَقَدْ تَبَيَّنَ شَوْهَدُهَا أَحْرَجَنَا الْفَاضِلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
لَعْنُوتَانِي فِي تَعْيِيفِهِ عَلَى « الرَّهْمَدِ » (رقم: ٧٢٧) لَوَكَيْعٍ مِنَ الْجَوَارِحِ

إحيائها

وكان مثنويان الثوري يقول : ما من عملٍ أفضل من
طَلَبِ العلم إذا صَحَّت النية
وقال الإمام الشافعي : طَلَبُ العلم أفضل من صلاة
الثأفة .

وقال ابن وهب : كُنْتُ عند مالك بن أنس، فحانت
صلاة الظهر أو العصر، وأنا أقرأ عليه، وأنظر في العلم بين
يديه، فحيمتُ كُتبي، وقمتُ لأركع، فقال لي مالك : ما
هذا ؟ قلتُ : أقومُ إلى الصلاة، قال : فقال : إنَّ هذا
لَعَجَبٌ، ما الذي قُمتَ إليه بأفضل من الذي كُنتَ فيه إذا
صَحَّت النية^(١) .

وقال أبو هريرة : لكلِّ شيءٍ عبادٌ، وعبادُ هذا الدِّينِ
الفقهاء، وما عُبدَ اللهُ بشيءٍ أفضلَ من فقهِ في الدِّينِ، وَلَفَقِيهِ
وَحَدُّ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنَ أَلْفِ عَابِدٍ^(٢)

(١) « جامع بين العلم وعصيه » (٣٠/١)

وهذه القصيدة فيها فائدة عاية تُبَيِّنُ قَدْرَ مجالسِ العلم، وعظمة مجالسته

أهلِهِ

(٢) ومن بسبب ذلك رُوي لرسولِ الكريم ﷺ فقد أخطأ، فقوله -

ولقد أحسنَ القائلُ رحمه الله - حيثُ قال :
 تعلّم فإنَّ العلمَ زينٌ لأهله
 وفصلٌ وعنوانٌ لكلِّ المحامدِ
 وكنْ مُستفيداً كلَّ يومٍ زبادةً
 منَ العلمِ وامسحْ في بحورِ الفوائدِ
 تفقه فإنَّ الفقهَ أَفضلُ قائلٍ
 إلى البرِّ والتقوى وأعدلُ قاصِدِ
 هو العلمُ الهادي إلى سننِ الهدى
 هو الحصنُ يُنجي من جميعِ لشدائدِ
 فإنَّ فقيهاً واحداً مُتورّعاً
 أشدُّ على الشيطانِ من ألفِ عابِدِ

قال الإمامُ أحمد : النَّاسُ أُسَوِّجُ إِلَى الْعِلْمِ مِنْهُمْ إِلَى
 الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، لِأَنَّ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ
 مَرَّةً ، أَوْ مَرَّتَيْنِ ، وَالْعِلْمُ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ .

« فقيه واحد » إلخ رواه الترمذي في « سه » (٢٦٨١)، وابن

ماجه (٢٢٢)، وفي سنده منتهى [

وانظر « العلل انتباهية » (١٢٦/١) لابن الحوري، و « كشف الخفاء »

(١٣٢/٢) سجستاني

وقال ابن القيم في « مفتاح دار السعادة » :
 « ويحكى عن بعض العلماء أنه ركب مع تجار في
 مركب، فانكسرت بهم السفينة، فأصبحوا بعد عر لغنى في
 ذر لفقر، ووصل العالم إلى البلد، فأكرم، وقصد بأنواع
 لشحف والكرامات. فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم قالوا له :
 هل لك إلى قومك كتاب أو حاجة ؟ فقال : نعم، تقولون
 لهم : إذا أخذتم مالا يغرق إذا انكسرت السفينة، فالتخذوا
 العلم تجارة » .

واحتمع رجل ذو هيئة حسنة، ولباس جميل وزرور^(١)،
 برجل عام، محسن المحاسة^(٢)، فلم ير شيئاً، فقالوا : كيف
 رأيته ؟ فقال : رأيته داراً حسنة مزخرفة، ولكن ليس بها
 ساكن »

ولبعض العلماء^(٣) رحمهم الله تعالى

لناس من جهة التمثيل أكصاء
 أئوهم آدم والأُم حـــــوؤ

(١) أي هيئة حسنة

(٢) أي هو الطرين وتفحصه .

(٣) ويست لعمري رضي الله عنه

نَفْسٌ كَنَفْسٍ وَأَرْوَاحٌ مُشَاكِِلَةٌ
وَأَعْظَمُ خُلِقَتْ فِيهِمْ وَأَعْضَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ أَصْدِهِمْ حَسَبٌ
يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطَّيْبُ وَالْمَاءُ
مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ
عَنِ الْهُدَى لَمْ يَسْتَهْدُوا أَدِلَّةُ
وَقَدَرُ كُلِّ أَمْرٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ
وَلِلرَّحَالِ عَلَى الْأَفْعَالِ أَسْمَاءُ
وَضِدُّ كُلِّ أَمْرٍ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ
وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ

وَلَا يَنْبَغِي لِلْفَاضِلِ أَنْ يَتْرَكَ عِلْمًا مِنَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ الَّتِي
تُعِينُ عَلَى فَهْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِذَا كَانَ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةَ
عَلَى تَعَلُّمِهِ .

وَلَا يَسُوعُ لَهُ أَنْ يَعْيبَ الْعِلْمَ الَّذِي يَجْهَلُهُ وَيُزَيِّرُ بِعَالِمِهِ ،
فَإِنَّ هَذَا نَقْصٌ وَرَذِيلَةٌ ، فَالْعَاقِلُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِعِلْمِهِ ، أَوْ
يَسْكُتَ بِحِلْمِهِ ، وَإِلَّا دَخَلَ تَحْتَ قَوْلِ الْقَائِلِ :

أتاني أنَّ سهلاً ذمَّ جهلاً
عُلوماً ليسَ يعرفُهُنَّ سهلاً
عُلوماً لو قرأها ما قلَّ لها
ولكنَّ الرضى بالجهلِ سهلاً

○○○○○

٨ - فصل

في فضيلة الرحلة في طلب العلم

لم يزل العلماء قديماً وحديثاً، وهم يسافرون إلى
الأمصار، ويحبون القباي، ويقطعون البحار، طلباً للعلم
الشريف من مظانّه، واقتباساً له من أماكنه .

وقد رُحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس ليسمع
منه حديثاً واحداً مسيرة شهر، كما ذكره البخاري^(١) .

وقد ورد في فضيلة الرحلة إلى طلب العلم آثارٌ :

منها ما رواه الإمام أبو عمر بن عبد البر^(٢)، عن رز بن
حبيش، قال : جاء رجل من ثراد^(٣)، يقال له : صفوان بن

(١) هو بن معقته في « صحيحه » (١٧٣/١)

ونظره « تعليق للتعليق » (٣٥٣، ٥) .

(٢) في « الجامع » (٣٢/١)

(٣) أي . من قبيلة ثراد .

انظر « جوهرة لسان العرب » (ص ٤٠٦-٤٠٧) لابن حزم .

عَسَلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ مُتَّكِئٌ عَلَى بُرْدٍ لَهُ أَحْمَرٌ، قَالَ : فَقَسْتُ . يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ عَمَلٍ، قَالَ : « مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَتُخَفَّفَ لَهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتُظْلَلَهُ بِأَجْنَحَتِهَا، فَيُرَكَّبُ بِعَظْمِهَا بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ لِيُنْزِلُوا مِنْ حَبِّهِمْ مَا يَطْبُقُ، فَمَا جِئْتَ تَطْلُبُ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : لَا زَالُ أَسَافِرُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَأَهْتَنِي عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ ... »^(١) وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

وَعَنْ حَمِيلٍ^(٢) بْنِ قَيْسٍ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ وَهُوَ بِدِمَشْقَ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ : مَا جَاءَتْ بِكَ حَاجَةٌ، وَلَا جِئْتَ فِي طَلَبِ التَّحَارَةِ، وَلَا حِثٌّ إِلَّا فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : بَلَى ؛ فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : أَبْشِرْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَخْرُجُ يَطْلُقُ عَبْدًا إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ

(١) حَدِيثٌ صَحِيحٌ . رَوَاهُ أَحْمَدُ (٤ ٢٣٩ وَ ٢٤٠ وَ ٢٤١)، وَاسْنَائِي (٩٨ ١)، وَطَبْرَانِي فِي « كَبِيرِ » (٧٣٧٣) وَ (٧٣٨٢) وَ (٧٣٨٨)، وَابْنُ مَرْجٍ (٢٢٦)، وَابْنُ خُرَيْمَةَ (١٩٣)، وَابْنُ حِبَّانَ (٨٥)، وَغَيْرُهُمْ، مُطَوَّلًا وَمُخْتَصَرًا.

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ « وَهُوَ » هُوَ كَثِيرُ بْنُ قَيْسٍ، نَظَرَ بِهِ : تَهْدِيدٌ (٤٢٦ ٨).

أَجْنَحَتْهَا، وَشَدَّتْ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ يَسْتَغْفِرُ لِلْعَالَمِ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْخَيْتَانِ فِي الْبَحْرِ، وَإِنَّ فَضْلَ
الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ
الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا
دِينَاراً وَلَا دِرهماً، وَلَكِنَّهُمْ وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَبْطٍ
وَافِرٍ^١

وما أحسنَ ما قيلَ :

العلمُ ميراثُ النبيِّ كذا أتى

بالنَّصِّ والعُلَمَاءُ هُمْ وَرَثَتُهُ

ما خَلَفَ الْمُخْتَارُ غَيْرَ حَدِيثِهِ

فَإِنَّا فَذَلِكَ مَتَاعُهُ وَأَثَائُهُ

قال سعيد بن المسيَّب : إِنْ كُنْتُ لِأَسِيرِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ
فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ .

١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٦٤١) وَ (٣٦٤٢)، وَابْنُ مَاجَهَ (٢٢٢٣)،
وَلَدَرِمِي (٩٨١)، وَأَحْمَدُ (١٩٦/٥)، وَاسِي حَنَّانَ (٨٩) مِنْ طَرِيقَيْنِ يُقَوِّي
أَحَدَهُمَا الْآخَرُ .

وَقَوَّاهُ الْحَافِظُ فِي هـ لَهْنَجِ (١٤٧/١) .

وَلَا بِنَ حَنَّانَ فِي هـ صَحِيحِهِ (٢٩١/١) تَعْلِيقُ جَمِيلٌ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ،

فَلْيُرَاجَعَ

وقال بُسْرٌ^(١) بن عُبيد الله الحضرمي : إن كنت لأركب
إلى مصر من الأمصار في الحديث الواحد لأسمعه .
وقال الشعبي : لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى
أقصى اليمن لسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع .
وقال قيس بن عبادة : خرجت إلى المدينة أطلب العلم
والشرف .

فَهَيْئَةُ ذَوِي الِهِمَمِ الْعَالِيَةِ مَا تَدْعُهُمْ يَرْضَوْنَ بِالدُّنَى، بَلِ
تَحْمِلُهُمْ إِلَى طَلَبِ الْمَجْدِ فِي أَيِّ مَكَانٍ يَكُونُ .
نَظَرُ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ، الْمُصِيبُ غَيْرُ الْفَائِلِ^(٢) :

قَوَّصَ رِكَابَكَ حَسَّ أَرْضِي تُهَانُ بِهَا
وَحَابِبٍ لَدُنَّ إِنَّ الدُّلَّ يُجْتَنَبُ
وَرَحَلَ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنْقَصَةً
فَالْمَنْدَلُ لِرُطْبٍ فِي أَوْطَانِهِ حَطَبٌ

١ . في « الأصل » . « بسير » ، والصواب ما أثبتته ، فانظر « سير
أعلام النبلاء » (٥٩٢ ، ٤)
وقد أخرج الأثر السامي (١٣٦ / ١) ، وابن عدي (٩٥ / ١) ،
والخطيب في « الرحمة في صلب الحديث » (رقم ٥٧)
٢ . يقال قال رُبُّهُ ، أي : حَطَبًا . والفعل ، هو المَحْطَى

وكما أنَّ العلماء يرحلون لطلب العلم، كذلك يرحلون
لنشره وتعليمه، فقد يكون العالم بين عامة لا يعرفون الخير ولا
يقبلونه، أو بين حسنة يتافسونه، فيحمله ذلك إلى مفارقة
أوطانه، والبعد عن معاهله أهله وجيرانه .

وقد قال العلماء : أزهّد الناس بالعالم جيرانه وأهل

بيته

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن خزم الأندلسي مخاطب
قاضي الجماعة بقرطبة :

أنا الشمس في جوف العلوم منيرة
ولكن عبي أن مطلعني القرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع
لجد على ما ضاع من ذكرني التهرب
ولي نحو آفاق العراق صباية
ولا غرو إن يستوحش الكيف الصب
فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم
فحيث يبدو التأسف والكرب
فكم قائل أعقلته وهو حاضـر
وأطلب ما عنه نجيء به الكـرب

هناك يدري أنَّ للثعلب غصاةً
وأنَّ كسادة العلم آفته القسرة
فَواعجاً من غات عنهم تشوقو
لَهُ ودنو المرء من دارهم دَنُوبُ

○○○○○

٩ - فصل

في بيان فضيلة نشر العلم والدعوة إلى الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣٠] .
ولما تلا الحسن هذه الآية قال : هذا حيث الله ، وهذا ولي الله ، هذا صورة الله ، هذا خيرة الله ، هذا أحب أهل الأرض إلى الله ؛ أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحاً في إجابته ، وقال :
إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، هذا خليفة الله ^(١) .
وقال عليه السلام : « لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ

(١) رواه عبدالرزاق في « تفسيره » (١٨٧/٣) .

وفيه نقطاع ، فتممتم لم يرو عن الحسن ، إنما أدرك جوارته .

وقوله : « هذا خليفة الله » فيه نظرٌ بَيِّنٌ ، فليُنظر له « معجم المأهلي

المصطبة » (ص ١٥٦) بالأخ الشيخ بكر أبو زيد

لَكَ مِنْ مُحَرِّمِ النَّعَمِ»^(١).

وَرَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ ابْنِ الْقَاسِمِ، قَالَ : كُنْتُ إِذَا وَدَعْنَا مَالِكًا يَقُولُ لَنَا : اتَّقُوا اللَّهَ، وَانْشُرُوا هَذَا الْعِلْمَ، وَعَلِّمُوهُ وَلَا تَكْتُمُوهُ .

وَعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مِنْ لَصْدَقَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ الرَّجُلُ لِمِصْرٍ فَيَعْمَلَ بِهِ ثُمَّ يُعَلِّمَهُ »^(٢).

قَالَ : وَرَوَيْنَا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ : كَانَ أَنَسٌ يَقُولُ : يُلَفَّنِي أَنَّ الْعُلَمَاءَ يُسْأَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يُسْأَلُ الْأَنْبِيَاءُ - يَعْنِي عَنِ التَّبْلِيغِ - .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٠]، قَالَ : الْأُمَّةُ : الْمُعَلِّمُ لِلْخَيْرِ، وَالْقَانِتُ : الْمُطِيعُ^(٣).

وَقَالَ زُهَبُ بْنُ مُتَيْبٍ : سَمِعْتُ مُثَنِيَّ بْنَ عُثَيْمَةَ يَقُولُ فِي

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٨٧/٧)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٠٦)

(٢) رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الْجَامِعِ» (١٤٨/١) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، لَكِنَّهُ مُرْسَلٌ ! فَهُوَ ضَعِيفٌ .

(٣) رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَالْقُرَيْشِيُّ وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذَرِ وَابْنُ حَاتِمٍ وَطَبْرَانِيُّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالْحَاكِمُ، كَمَا فِي «الْشَّرْحِ الْمُنْتَوَرِ» (١٧٦/٥)

قوله عز وجل : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَا كُنْتُ ﴾ [مريم : ٣١] .
قال : معلماً للخير

وكان تسمي الداري رضي الله عنه يعظ الناس ، وتعلمهم
الحير كل يوم الجمعة في مسجد رسول الله ﷺ في خلافة عمر
رضي الله عنه ، كما ذكره ^(١) الإمام المقرئ في « الخطط » .
ولم يزل علماء الإسلام وهم يجتهدون في نشر العلم
وبثه ، ويختارون لذلك المجامع العظيمة ، كيوم الجمعة .

وقد ذكر المؤرخون في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية أنه
يتصب له كرسي كل يوم الجمعة يذكر الناس ^(٢) ، وإنما اختار
يوم الجمعة ، لاجتماع الناس فيه ، فيكون أبلغ في التبليغ

وكذلك الإمام الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي
صاحب « العمدة » ؛ كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة
بحقبة الحنابلة ، بجامع دمشق ^(٣) ، ويجتمع الناس إليه ، وحصل
له قول ، فكان سريع الدفعة ، حسنة الدماشة ، فحسبوا

(١) ورواه بن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣/٣٦٠ - تهذيبه)

(٢) انظر « العقود السرية » (ص ٥) لابن عداهادي ، و « الدرر

الكاملة » (١٥٣/١) لابن حجر

٣ ، « تذكرة الحفاظ » (١٣٧٥، ٤) للذهبي .

لأحد الخاطئة أن يُذكر أيضاً بعد صلاة الجمعة في الجامع المذكور، ومقصودهم في ذلك التشويش على الحافظ، لكونهم حسدوه رحمه الله كما ذكره الإمام الدُّجَلي في كتاب « الفلاكة ومفكوك » وهو من أنعم الكتب وأحسنها لتهديب الأخلاق، ومداواة النفوس .

ولله دُرُّ القنل :

ذاكر الناس بالعلوم تحيياً
لا تكن من أولي النهى بعيدي
بكنت العلوم أنسيت حتى
لا ترى غير جاهل وتليد
ثم أجمت في القيامة ناراً
وتلهيت في العذاب الشديد

○○○○○

(١) (ص ٦٨ ٦٩)

١٠ - فصل

فيما ينبغي لنا نشر العلم أن يتحلّى به من الفضائل

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى
بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَنُحِبِّحَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
[يوسف: ١٠٨] .

فأمر سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يقول : هذه الدعوة
التي أَدْعُو إليها، والطريقة التي أنا عليها، من الدّعاء إلى
توحيد الله، وإخلاص العبادة له وحده، سبيلي وطريقي،
ودعوتي إلى الله على بصيرة من ذلك، وعلم و يقين مني به
أنا، وتدعو إليه أيضاً على بصيرة من اتبعني وصدقني .
وقوله تعالى : ﴿ وَنُحِبِّحَ اللَّهُ ﴾ أي : وقُلْ تَنزِيهاً لله
وتَعْظيماً له من أن يكونَ له شريكٌ ، ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي : بريءٌ منهم ، لستُ منهم ، ولا هم مني .
فدلّت هذه الآية على أن الدّاعي إلى الله لا بدّ أن يكونَ

على بصيرة، وأن يكون مُخلصاً عمله لوجهِ الله تعالى، داعياً
بالرحمة واللين والرفق .

قال في « فتح المحيد »^(١) : وقال العلامة ابن القيم في
معنى قوله تعالى : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٣] الآية :

« ذكرُ سُبحانه وتعالى مراتبَ للدعوة، وجعلها ثلاثة
أقسام بحسبِ حالِ المدعو، فإنَّه :

إمّا أن يكون طالباً للحق، مُحِبّاً له، مؤثراً له على غيره
إذا عرّفه، فهذا يُدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة
وجدال .

وإمّا أن يكون مُشتعلاً بضدِّ الحق، لكن لو عرّفه أثره
وأتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بشَّرْغِيبٍ والتَّرهيب .

وإمّا أن يكون مُعنداً مُعارضاً، فهذا يُحدَلُ بالتي هي
أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجلاء إن أمكن .
نتهى .

فتأمل هذه المراتب الثلاث يظهر لك خطأ كثير ممن
يزعمون أنَّه يدعوا إلى الله وإلى دينه مع ارتكابه الطيش والعجلة .

(١) (ص ٨١) .

وَعَدَمَ الرَّفْقِ بِالْمُخَالَفِ، وَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ قَلَّةِ التَّدْبِيرِ لَا يَتَبَلَّغُ
اللَّهُ، وَالتَّأَمُّلُ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ .

وَمِثْلَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِي : مَتَى يَجُوزُ لِلْعَامِّ أَنْ
يَعْلَمَ النَّاسُ ؟ قَالَ : « إِذَا عُرِفَتِ الْمُحْكَمَاتُ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ » .
يَعْنِي إِذَا كَانَ بَصِيرًا بِدِينِ اللَّهِ، عَالِمًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .
وَرَوَى الْإِمَامُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ (١)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ
النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا » ثَلَاثًا .
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا اسْتِكْبَانَ الْوَقَارِ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ
تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ، وَمَنْ تَعَلَّمُونَهُ، وَلَا تَكُونُوا جِبَابَةَ الْعُلَمَاءِ » (٢) .

(١) في « الجامع » (١٥١/١)

ورَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي « الْأَدَبِ الْمُرُودِ » (١٢٣٠) ، وَاحْمَدُ (٢٣٩/١) وَ
٢٨٣ وَ ٣٦٥ .

وَفِي سَنَدِهِ لَيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ، وَهُوَ مُتَخَفٌ

وَقَدْ حُسِّنَ الْحَدِيثُ شَيْخًا الْأَلْبَانِي فِي « سُنَنِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ »

(١٣٧٥) شَوَاهِدِي، فَلْيُنْظَرِ

(٢) رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ بَرٍّ (١٥١/١) ، وَفِي سَنَدِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ رَيْدٍ

سَلَمٌ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ، وَقَدْ صُحِّحَتْ فِيهِ :

وقال موسى بن عبيد الله الخاقاني :

عَلَّمَ الْعِلْمَ مَنْ أُنْذِرَ لِعِلْمِهِ
وَأَعْتَنِي مَا حَيَّيْتُ مِنْهُ الدُّعَاءَ
وَلَيْتُكَ عِنْدَكَ الْفَقِيرُ إِذَا مَا
طَلَّتِ الْعِلْمَ وَالْغَنَى مَسْوَءَ

وذكر محمد بن الحسن الشيباني، عن أبي حنيفة قال :
الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إلي من كثير من الفقهاء،
لأنها آداب القوم وأخلاقهم .
وقال لإمام الشافعي : مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ، عَظُمَتْ
حَرَمَتُهُ، وَمَنْ طَلَّتْ بَفَقَةٍ، تَبَيَّلَ قَدْرُهُ، وَمَنْ عَرَفَ الْحَدِيثَ،
قَوِيَّتْ حُجَّتُهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي النَّحْوِ، رَقَّ طَبَعُهُ، وَمَنْ لَمْ يَصْنَعْ
نَفْسَهُ، لَمْ يَنْفَعُهُ عَمَلُهُ

= مرواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٤٦/٦) عن عُثْمَانَ
وفيه - أيضاً - عباد الرحمن لمُتْرُوكٍ أ
وروي عن طريق ثابت عن أبي هريرة .
فقد « أخرج الطبراني في « الأوسط » وفيه عطاء بن كثير، وهو متروك
الحديث « كما قال الهيثمي في « المجمع » (١٢٩، ١)
ورواه عن الطريق نفسه ابن عدي في « الكامل » (١٦٤٦/٤)

ورحم الله القائل :
 إذا أنت لم تنفعك علمك لم تجد
 لعلمك مخلوقاً من الناس يقبله
 وإن زانك العلم الذي قد حملته
 وجدت له من يجنيه ويحميه
 وعن الحسن رضي الله عنه، قال : كان طالبُ لعلم
 يرى ذلك في سمعه وبصره وتخشعه
 يعني أنَّ ثمرة العلم - التي هي العمل - تظهر عليه
 علاماتها، وتؤثر في جوارحه وأعضائه .
 وقد قال ابن مسعود لأصحابه : كونوا ينابيع العلم،
 مصابيح الحكمة، سراج الليل، مجدد القلوب، أحلاس
 البيوت، مخلقان الثياب، تعرفون في أهل السماء، وتخفون على
 أهل الأرض .
 وقال الخليل بن أحمد : اجعل تعليمك دراسة لك .
 واجعل مناظرة المتعلم تنبيهاً لما ليس عندك، وأكثر من العلم
 لتعلم، وأقلل منه لتحفظ .
 وعن عبد الرحمن بن مهدي، عن محمد بن النضر
 الحارثي قال : أوَّل العلم الاستماع، قيل : ثم ماذا ؟ قال :

الحفظ^(١)، قيل . ثم ماذا ؟ قال : العَمَلُ، قيل : ثم ماذا ؟
قال : التَّشَرُّعُ .
واللَّهُ أَعْلَمُ .

○○○○○

(١) وللعلامة صدِّيق حسن خان في كتاب « سِجَّةُ فِي ذِكْرِ الصُّحَّاحِ
السُّنَّةِ » (ص ٤٧ - بتحقيق) بحثٌ لطيفٌ في الحفظ، وأَعْلَيْتُهُ، و لَعَرَقَ
بَيْتَهُ وَبَيَّنَ الْفَهْمَ .

١١ - فصل

في جُمَلٍ نافعةٍ من آدابِ المُتعلِّمِ

علم أنه لما يلزم طالت العلم التَّبَيُّهَ إكراماً مُعلِّمه
وأستاذِهِ، وتَعْظِيمُهُ واحترامُهُ، ليَصْبَحَ في تَعْلِيمِهِ، وَنَجْدٌ في
إرشادِهِ وتفهيمِهِ، فقد قال من صدَّقَ في المقال :
إنَّ المُعلِّمَ والطَّيِّبَ كلامُ —

لا يَصْحَابُ إذا هما لم يُكْرِمَا
فاصْبِرْ لدائِلَتِ إن جَفَوْتَ طَيِّبَهُ
واقْنَعْ بجهلِكَ إن جَفَوْتَ مُعْتَمَا
ولا يَتَّبِعِي لَطالِبِ العلم أن يُجَادَلَ معلِّمَهُ، أو يُهَارِبَهُ،
فَيُحَرِّمَ بذلك علماً كثيراً، بل يلزِمُهُ الرِّفْقُ والتَّوَدُّدُ، وطلبُ
رضاه .

قال الزُّهْرِيُّ : كان أبو سَنَمَةَ يُهَارِي ابنَ عَبَّاسٍ، فَحَرَّمَ
بذلك علماً كثيراً .

وعلى المتعلم الصبر، واحتمال الغضب من المعلم إن
غضب عند التعليم، ليتألم بذلك الرضى، فيستخرج ما عند
معلمه من العلوم .
ورحمه الله القائل :

اصبر على مرّ الجفا من معلم
فإنّ رُسوخَ العلم في قراته
ومن لم يذق ذرّ التعلم ساعة
تجرّع ذلّ الجهل طول حياته
حياة الفرد وللّه بالعلم واتقى
إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته
ومن منه التعليم وقت شبابه
فكبر عليه ربعا لوفاته

وعن سعيد بن المسيّب أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله
تعالى عنه قال : « إنّ من حقّ العالم ألاّ يُكثّر عليه بالسؤال ،
ولا تُعنته في الجواب ، وأن لا تُنخّ عيه إذ كسل ، ولا تأخذ
بقويه إذا نهض ، ولا تُقصيّن له سرّاً ، ولا تعتابنّ عده أحد ،
ولا تطلسنّ عشرته ، وإن رلّ قنت معذرتة .

وعليك أن تُؤقِّره وتُعظِّمه لله ما دام يحفظ أمر الله^(١) ،
ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجةٌ سبَّغت القومَ إلى
خدمته^(٢) .

ولا بدَّ لطالب العلم من التواضع، وحسن الخلق،
وطرح الكبر، لينتفع بعلمه، وينفع غيره .
وفي هذا المعنى أنشد بعضهم :

إنَّ التَّواضَعَ مِنْ خِصَالِ الْمُتَّقِي
وَبِهِ التَّقِيُّ إِلَى الْعَالِي يَرْتَقِي
وَمِنْ الْعَجَائِبِ مُعْجَبٌ مَنْ هُوَ جَاهِلٌ
فِي حَالِهِ أَهْوَى السَّعِيدُ أَمْ السَّقِي ؟
أَمْ كَيْفَ يَحْتَمُ عُثْرُهُ أَوْ رُوحُهُ
يَوْمَ النَّوَى مُتَسَقِّلٌ أَوْ مُرْتَقِي
وَالْكِبْرِيَاءُ لِرَبِّنَا صِفَةٌ بِـ
مَخْصُوصَةٍ فَتَحَنَّنْهَا وَاتَّقِي

وقال الحسين بن علي لابنه : يَا بَنِي إِذَا جَالَسْتَ
الْعُلَمَاءَ، فَكُنْ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ،

(١) وهذا شرماً مهم .

وتعلّم محسن الاستماع، كما تتعلّم محسن الصمت، ولا تقطع
على أحبر حديثاً وإن طال حتى يُتسبك .

وقالت الحكماء : إذا حالست الغلابة، فكن عي أن
تسمع أحرص منك عي أن تقول .

حكى بعضهم : أن الخليفة هارون الرشيد بعث ابنه إلى
الأصمعي، ليعلّمه العلم والأدب، فراه يوماً يتوضأ، ويغسل
رجله، وابن الخليفة يصب الماء على رجليه، فعاتب الأصمعي
في ذلك فقال : إنما بعثت إليك لتعلم وتؤدبه، فلماذا لم تأمره
بأن يصب الماء بحدى يديه، ويغسل بالأخرى رجلك ؟
فتأمل لعلك ترشد وتسعد .

ومما لا يليق بطالب العلم اغتراره بنفسه، وتوهمه أنه
أعلم من معلمه أو مثله، فإن هذا تسويل من النفس، وشدة
من الشيطان

قال الفراء : قال لي رجل : ما اختلافك إلى الكسائي
وأنت مثله في النحو ؟ فأعجبني نفسي، فأبته مناظرته
مناظرة الأكفاء، فكانني طائر يعرف بمقاربه من البحر .
ولصالح بن عبد القدوس :

وَإِنَّ عِثَّةَ الْفُلْجِ أَنْ تُفْهَمَ جَاهِلًا
 فَيَحْسَبُ جَاهِلًا أَنَّهُ مِنْكَ أَفْهَمُ
 متى يبلغُ البُنيانُ يوماً تَمَامَهُ
 إذا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدُمُ ١٢
 متى ينتهي عن مَبْنِيٍّ مَنْ أَتَى بِهِ
 إذا لم يَكُنْ مِنْهُ عَلَيْهِ تَنَدُّمُ ١٣
 ومن المَعْرُوفِ عِنْدَ الْفَضْلَاءِ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ قَابِلًا لِكُلِّ
 عِلْمٍ . فَيَتَّبِعِي لَطَالِبُ الْعِلْمِ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَا يَسْتَهْلُ عَلَيْهِ ، وَيَرَى
 نَفْسَهُ قَابِلَةً لَهُ ، وَإِلَّا أَضَاعَ عُمُرَهُ فِي طَلَبِ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ .
 قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كُنْتُ أَتَرَدَّدُ إِلَى الْحَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ أَخَذْتُ
 عَنْهُ عِلْمَ الْغُرُوصِ ، فَاسْتَعَصَى عَلَيَّ ، فَلَمَّا جِئْتُ ذَاتَ يَوْمٍ قَالَ
 لِي : كَيْفَ تُقْطَعُ يَا أَبَا مَتْعِدٍ ؟
 إِذَا مَ تَسْتَطِيعُ شَيْئًا قَدَعَهُ
 وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
 ... فَعَلِمْتُ مُرَادَ الشَّيْخِ ، وَنَصَرَفْتُ عَنْهُ ، وَلَمْ أُعِدْ إِلَيْهِ
 لِأَخِذِ عِلْمَ الْغُرُوصِ .
 قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَتَتَّبِعِي لَطَالِبُ الْعِلْمِ أَنْ لَا يَجَسَّسَ قَرِيبًا مِنْ
 مَعْلَمِهِ عِنْدَ الْمُدْرَسِ ، بَلْ يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَدْرُ قَوْسٍ ،

فإنه أقرب إلى التعظيم^(١) .

ولا ينبغي له أن يكون لثيماً يعتابُ مُعلِّمه ومن يشاركه في
لدرس من الطلبة، ويقابل الحسنة بالسيئة، كما شاهدنا ذلك
من كثير من الطلاب، حتى حرموا اعدم بسبب ذلك، بل
الواجب عليه الاعتراف بفضله، والدعاء له، ونشر محاسنه،
والكف عن مساوئه، فللمعلم من الفضل عليه أعظم من
فضل أبيه، كما اعترف به بعض الثجاء الأذكياء حيث
يقول :

أفصلُ أستاذي عن فضل والدي
وإن نالني من والدي المجد والشرف
فهذا مُربي الروح وللروح جوهـر
وداك مُربي الجسم والجسم كاصـدَف

(١) وهذا تعظيم لا دليل عليه، بل يرده حديث حبريل في تعليم
الإسلام، فيه أنه جاء إلى النبي ﷺ، حتى جلّس إليه، « فأسد ركنتيه إلى
ركنتيه، ووصغ كعبه عن قجذيه ... »
رواه مسلم (٨) عن عمر
ويطالع - ريدة فائدة كتات « جليّة طالب العلم » للشيخ بكر
أوريد .

وقال الآخر :

إذا أفدك إنسان بفائدة

من العلوم فلازم شكره أبدا

وقل فلان جزاء الله صالحة

أفادنيها وألني الكبير والحسد

وينبغي لطالب العلم أن يتغلى عن جميع الرذائل .

ويتحلّى بما أمكنه من الفضائل ، فيكون محسناً للخلق ، جميل

المعاشرة ، مثلاً نقوله عليه السلام لمعاذ : « وخدق الناس بخلق

حسن^(١) .

ويُسَمُّ على الكبير والصغير من المسلمين ، ويحرص على

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد (١٥٣/٥) و ١٥٨ و ١٧٧ ،

والترمذي (١٩٨٧) ، ولحاكم (٥٤/١) عن أبي ذر .

وفي مسندو انقطاع

وله طريق أخرى يقوّيه :

أخرجه أحمد في « مسنده » (١٦٩/٥) ، وفي « الزهد » (٢٧) ، والبيهقي

في « الأسماء والصفات » (١١٧) بسند حسن .

وقد حسن الحديث الذهبي ، كما في «فيض القدير» (١٢١/١) .

وانظر : جامع العلوم والحكم (١٤٧-١٤٨) .

ابتدائهم بالسَّلام، فمن علامة النِّجاةِ بالطُّلاب، حَسَنُ
الْبِسْمِ وَالْأَدَبِ، واحترامُ النَّاسِ عُمُومًا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣٠] .

وَيَتَّبِعِي لَطَائِبِ الْعِلْمِ أَنْ لَا يَصْحَبَ إِلَّا مَنْ يُعِينُهُ عَلَى
تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ .

وَيَحَذِّرُ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ مُخَالَطَةِ السُّفَهَاءِ، وَأَهْلِ الْمَجُونِ
وَالْوَقَاحَةِ، وَسِبْئِي السُّمْعَةِ وَالْأَغْبِيَاءِ وَالْبُلْدَاءِ، فَإِنَّ مُخَالَطَتَهُمْ
سَبَبُ الْجُرْمَانِ، وَشَقَاوَةُ الْإِنْسَانِ .

وما أحسنَ ما قيل :

لا تَصْحَبِ الْكَسْلَانَ فِي حَالَتِهِ
كَمْ صَالِحٍ بِفَسَادِ آخِرِ يَفْسُوسُهُ
عَدَوَى الْبَيْدِ إِلَى الْجَلِيدِ مَرِيعَةً
كَالْجَمْرِ يُوضَعُ فِي الرِّمَادِ فَيَخْمَدُ

وقال غيره :

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَتَسْأَلِ عَنْ قَرِينِهِ
فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَضِي

فإن كانَ ذا شرٍّ فحازِبُهُ سُرْعَةً
وإن كانَ ذا خَيْرٍ فقَارِنُهُ تَهْتِـدِي

وروى الإمام أبو عمر بن عبد البر عن ابن أبي حُسَيْن أَنَّهُ
قَالَ : « تَلْغَنِي أَنَّ لِقَاءَ الْحَكِيمِ كَانَ يَقُولُ : يَا بُنَيَّ لَا تَتَعَلَّمِ
الْعِلْمَ لِنَبَاهِي بِهِ الْعُلَمَاءَ ، وَتُبَارِي بِهِ السُّفَهَاءَ ، وَتُرَائِي بِهِ فِي
الْمَجَالِسِ ، وَلَا تَدَّخِ الْعِلْمَ زُجْعًا فِيهِ . » وفي روايةٍ حَيَاءٌ مِنَ
النَّاسِ ، وَرَغْبَةٌ فِي الْجِهَالَةِ - ، يَا بُنَيَّ اخْتَرِ الْمَجَالِسَ عَلَى
عَيْنِكَ ، فَإِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ ، فَإِنَّكَ
إِنْ تَكُ عَالِمًا يَنْفَعُكَ عِلْمُكَ ، وَإِنْ تَكُ جَاهِلًا يَعْلَمُوكَ ، وَلَعَلَّ
اللَّهُ يَطْلُعَ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِهِ فَتُصِيبَكَ مَعَهُمْ ، وَإِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا لَا
يَذْكُرُونَ اللَّهَ ، فَلَا تَجْلِسْ مَعَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكُ عَالِمًا لَا يَنْفَعُكَ
عِلْمُكَ ، وَإِنْ تَكُ جَاهِلًا يَزِيدُوكَ غِيًثًا ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يَطْلُعَ عَلَيْهِمْ
بِعَذَابٍ فَتُصِيبَكَ مَعَهُمْ » .

وَيَجِبُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يُدِيمَ حَمْدَ اللَّهِ تَعَالَى ،
وَشُكْرَهُ عَلَى نِعْمَةِ الْعَظِيمَةِ ، وَالْآلِهَةِ الْجَسِيمَةِ الَّتِي مِنْ أَعْظَمِهَا
أَنْ جَعَلَهُ حُبًّا لِلْعِلْمِ ، طَالِبًا لَهُ ، مَعْدُودًا مِنْ أَهْلِهِ .
وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا اصْطِفَاءً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ قَالَ

عليه السلام : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ »^(١) ، فلذا ينبغي لطالب العلم أن يتذكر أن الدنيا هائلة، والعمر قصير، والأجل قريب. حتى يُقدِّم من العلوم الأهم على المهم، وأهم ما يلزمه الفقه في الدين، والعمل به. وما سوى ذلك، فلا يحب على الإنسان علمه .

وأنشد بعضهم :

إذا ما اعترى ذو عجم بعلمهم
فعلَّم الفقيه أول ما عتسـزار
مكم طير يصوح ولا كمسك
وكم طير يطير ولا كـبـاز

وقال في « غداء الألباب »^(٢) في شرح قول الإمام ابن عبد القوي :

ولا تسأم العلم واسهر ليلـه
بلا صحر تحند سرى الليل في غد
فمن ألف السهاد، وترك الوساد والمهاد، وجاب

(١) روه البخاري (١٥٢٦)، ومسلم (١٠٣٧)

(٢) (٥١٦، ٢)

البلاء، وحرم الأهل والأولاد، نال منه المراد .

مَنْ طَلَبَ وَجَدَ وَجَدَ، وَمَنْ قَرَعَ الْبَابَ وَلَجَّ وَلَجَّ، وَمَنْ
أَلِفَ السَّامَةَ وَالثَّوَمَ، لَمْ يَتَلْ مَا نَالَ الْقَوْمَ، فَإِذَا رَأَيْتَ نَفْسَكَ
لَا تَنْهَضُ لِنَيْلِ الْعُلُومِ، وَلَا تَدَابُّ فِي إِدْرَاكِ الْمَنْطُوقِ مِنْهَا
وَالْمَفْهُومِ، فاعْلَمْ أَنَّكَ تَمُنُّ اسْتِرْدْلَهُ اللَّهُ وَأَبْعَدَهُ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ
الشَّيْطَانُ وَأَقْعَدَهُ .

فَعَنَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ : إِذَا
اسْتِرْدَلَ اللَّهُ عَبْدًا رَهْدَهُ فِي الْعِلْمِ .
وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يُبْطَلُ عَنْ طَلَبِ
الْعِلْمِ إِلَّا جَاهِلٌ .

وَقَالَ : لَيْسَ قَوْمٌ خَيْرًا مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ .
وَمَّا يُزَيَّنُ طَالِبُ الْعِلْمِ كِبَرُ عَقْلِهِ، وَالتَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ،
وَالاعْتِرَافُ بِفَضْلِ الْفَاضِلِ، وَالتَّغَافُلُ عَنْ جَهْلِ الْجَاهِلِ .
وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ :

وَمِنْ عِبَرِ الْإِنْسَانِ عَنْ فَضْلِ نَفْسِهِ
بِمَثَلِ اعْتِقَادِ الْفَضْلِ فِي كُلِّ فَاضِلٍ

وليس من الإنصاف أن يدفع الفتى
يدَ النقص عنه بانتقاص الأفاضل

ومن كلام الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :
بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين^(١).

وقال شيخه^(٢) :

فكابد إلى أن تبلغ النفس جهدها
وكن في اكتساب العلم طلاع المجدها

○○○○○

(١) انظر وكشف الثوب عن معالم سورة الأحزاب « (ص. ٤٣)

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - بتحقيقي .

(٢) لم ينس لي من هو ١٩

١٢ - فِصْلُ

فِي بَيَانِ آفَةِ الْعِلْمِ وَكَرَاهِيَةِ وَضْعِهِ عِنْدَ
مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ

قال الإمام النووي رحمه الله في « المقاصد » : فطلب العلم آفته صِحَّةُ الأحداثِ سَأً وَعَقْلاً وَدِيناً .
وقال السفاريني في « غذاء الألباب » : وجِرمَانُ العلمِ
يَكُونُ بِسَبْتِهِ أَوْجَعُ :
أحدهما : تركُ السُّؤَالِ .
الثاني : سوءُ الإنصاتِ ، وَغَدُمُ إلقاءِ السَّمْعِ .
الثالث : سوءُ الفَهِمِ .
الرابع : غَدُمُ الحِفظِ .
الخامس : غَدُمُ نَشْرِهِ وَتَعْيِيمِهِ ، فَمَنْ تَخَزَّنَ عِلْمَهُ ، وَلَمْ
يَنْشُرْهُ ، ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِسَيَانِهِ جِرَاءً وَفَاقاً .
السادس : غَدُمُ العَمَلِ بِهِ ، فَإِنَّ العَمَلَ بِهِ يُوَحِّدُ

تَذَكُّرُهُ، وَتَدْبِيرُهُ، وَمُرَاعَاتِهِ، وَاسْتِظْرَافِهِ، فَيَدَا أَهْمَلِ الْعَمَلِ بِهِ
سَيِّئُهُ

قال بعضُ اسكُلفٍ : كُنَّا سَتَعِينُ عَلَى حِفْظِ الْعِلْمِ بِعَمَلٍ
به .
وقال بعضهم : العلمُ يهتَفُ بِالْعَمَلِ ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا
ارْتَحَلَ .

فَمَا اسْتَدِيرَ الْعِلْمُ وَاسْتَحْلَبَ بِمَنْشِ الْعَمَلِ بِهِ .
وَرَوَى الْإِمَامُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، عَنْ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ
قَالَ : إِنَّمَا يُذْهِبُ لَعْنُ النَّسْيَانِ، وَتَرْكُ الْمَذَاكِرَةِ .
وقد بعضهم :
إِذْ لَمْ يُذَاكِرْ ذُو الْعُلُومِ بَعْمِهِ

وَلَمْ يَذْكُرْ عِلْمًا نَسِيَ مَا تَعَلَّمَا
وَعَنِ الْأَعْمَشِ مَرْفُوعًا : « آفَةُ الْعِلْمِ النَّسْيَانُ ، وَإِضَاعَتُهُ
أَنْ يُحَدِّثَ بِهِ غَيْرُ أَهْلِهِ »^(١)

١ رواه الذَّهْرِيُّ فِي « سَه » (١٥٠، ١) ، وَابْنُ عَبْدِ لَبْرِ فِي « جَامِعِهِ »
(١٣٠، ١) عَنْ الْأَعْمَشِ هَكَذَا ، مُفَصَّلًا
وَهُوَ صَعِيبٌ

وَرَوَاهُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْأُسَيْسِيُّ فِي « الْفَوَائِدِ » (٢/٢٤) عَنْ عَلِيِّ بْنِ

وعن أبي فزارة أنَّ عيسى عليه السلام كان يقول : لا
تَمْنَعِ الحَكَمَةَ أَهْلُهَا فَتَأْتِمَ ، وَلَا تَضَعَهَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهَا فَتَجْهَلَ ،
وَتُنْكَرَ طَبِيباً رَفِيقاً يَضَعُ دَوَاءَهُ حَيْثُ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَنْفَعُ .
وللإمام الشافعي رحمه الله تعالى :
سَأَلْتُكُمْ عِلْمِي عَنْ ذَوِي الْجَهْلِ طَافَتِي
وَلَا أَنْتُمْ الدُّرُّ النَّفِيسَ عَلَى الْغَنَمِ
فَإِنْ يَسَّرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ
وَالْأَفْمَخَزُونَ لَدَيَّ وَمُكَنَّتْ
فَتَمَنَّ الْجُهَّالُ عَلَيَّ أَضَاعَهُ
وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ
وَيُرْوَى "عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « قَامَ أَخِي عِيسَى

= الحسين، قال : حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، قَالَ كَانَ يَقَالُ .
فَذَكَرَهُ، وَمِ يَرْمُهُ

أورد هذا الطريق شيخنا في « السلسلة الضعيفة » (١٣٠٣) ثم قال :
« وانوقف أصح، والرفوع ضعيفٌ مُقْتَضِلٌ » .

(١) رَوَاهُ الْعَقِيلِيُّ فِي « الضَّعِيفِ » (٣٤٠/٤) ، وَالْحَاكِمُ فِي « اسْتِسْرَكِ »
(٢٧٠/٤) ، وَاطِّرَانِي - كَمَا فِي « الْبَدَايَةِ وَالْأَهَايَةِ » (٢٥٨/٩) - .

وَقَدْ سَكَتَ الْحَاكِمُ عَنِ الْحَدِيثِ ثَقَرًا لَهُ !

وَتَعَفُّهُ الدَّهْمِيُّ بِقَوْلِهِ :

عِيةِ السَّلامِ خَطِيباً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
لَا تُعْطُوا الْحِكْمَةَ غَيْرَ إِيَّاهَا فَتُظْلَمُوا، وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا
فَتُظْلَمُوهُمْ .

وَقَدْ نَظَّمَ هَذَا بَعْضُ الْحُكَّامِ فَقَالَ :

مَنْ مَنَعَ الْحِكْمَةَ مِنْ أَهْلِهَا
أَصْبَحَ فِي النَّاسِ لَهُمْ ظَالِمًا
أَوْ وَضَعَ الْحِكْمَةَ فِي غَيْرِهِمْ
أَصْبَحَ فِي الْحُكْمِ لَهُمْ غَافِلًا
لَا خَيْرَ فِي الْمَرْءِ إِذَا مَا عَدَا
لَا طَالِبَ الْعِلْمِ وَلَا عَالِمًا
وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ فِي قَوْلِهِ :

وإِذَا حَمَلْتَ إِلَى سَفِيهِ حِكْمَةً
فَقَدْ حَمَلْتَ بِضَاعَةً لَا تَنْفَعُ

وَقَدْ رُوِيَ مَرْفُوعاً : « وَاصِعُ الْعِلْمِ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ كَمَقْلُدٍ

- « هِشَامُ مَرْوُكٌ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ كَذَّبَهُ الدَّارِقُطِيُّ، فَتَطَلَّ الْحَدِيثُ » .
وَقَالَ الثَّقَلِيُّ : « لَيْسَ هَذَا الْحَدِيثُ طَرِيقٌ بِشَيْءٍ » .

الختارير اللؤلؤ والذهب»^(١).

ومن آفات العلم استغناء الإنسان بنفسه، وثقته بعلمه،
وحديثه^(٢) عن مُراجعة العلماء، والأخذ عنهم، والاستقصاء
بنور أفكارهم.

فَلَقَدْ حَذَّرَ الْعُلَمَاءُ عَنْ ذَلِكَ، وَبَالَغُوا فِي النَّهْيِ عَنْهُ، كَمَا
رَوَى الْعَلَّامَةُ ابْنُ خَلَّكَانَ^(٣) فِي تَرْجُمَةِ الْحَافِظِ الْإِمَامِ ابْنِ
عَسَاكَرٍ قَوْلَهُ :

أَلَا عِلْمُ الْحَدِيثِ أَجَلُ عِلْمٍ
وَأَشْرَفُهُ الْأَحَادِيثُ الْعَوَالِي
وَتَنْفَعُ كُلَّ نَوْعٍ مِنْهُ عَمْدِي
وَأَحْسَنُهُ الْفَوَائِدُ وَالْأَمَالِي
وَأِنَّكَ لَنْ تَرَى لِعِلْمٍ شَيْئاً
يُحَقِّقُهُ كَأَفْوَاهِ الرَّجَسَالِ

(١) حديثٌ ضعيفٌ جداً

يُظَنُّ تَحْرِيجُهُ لِي تَعْلِيْقِي عَلَى جُرْوِ « طَرَفِ حَدِيثٍ » طَلَبَ الْعِلْمِ
فَرِيضَةٌ . . « (ص. ١٤ - ١٥) سُبُوطِي

(٢) الْحَدِيثُ : الْمَضِي عَلَى غَيْرِ اسْتِقْدَامٍ

(٣) فِي « وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ » (٣ / ٣١٠) .

فَكُنْ يَا صَاحِبَ ذَا جِرْصٍ عَلَيْهِ
وَلِتُحَذِّهُ عَنِ الرِّجَالِ بِلَا مَلَالٍ

وَلَا تَأْخُذْهُ مِنْ صُحُفٍ فَتَرْمِي

مَنْ التَّصْحِيفِ بِالذِّءِ الْمُضَالِ

وَمَا يَقْبَحُ بِالْمَتَعَلِّمِ، وَيَرْفَعُ عَنْهُ نَوْرَ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ
وَالْكَمَالِ، وَيَكُونُ سَيِّئاً لِحُرْمَانِهِ، وَعَدَمِ انْتِفَاعِهِ وَنَفْعِهِ بِعِلْمِهِ :
إِطْلَاقُ لِسَانِهِ بِالشَّتْمِ، وَالْقَذْفِ، وَالغَيْبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَغَيْرِ
ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْأَرَاذِلِ الدُّمِيمَةِ، وَأَقْبَحُهَا الْحَسَدُ، عِيَاذاً
بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ - كَمَا فِي « غَدَاءِ
الْأَدَبِ » ١ - صَارَ فِي الدُّبْرِ وَالْدُّنْيَا

أَمَّا ضَرَرُهُ فِي الدُّبْرِ، فَإِنَّ الْحَاسِدَ قَدْ سَخَطَ قَضَاءَ اللَّهِ
تَعَالَى، فَكَرِهَ نِعْمَتَهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَهَذَا قَدَرٌ فِي بَصَرِ الْإِيمَانِ،
وَيَكْفِيهِ أَنَّهُ شَارَكَ إِبْلِيسَ فِي الْحَسَدِ، وَفَارَقَ الْأَنْبِيَاءَ فِي حُبِّهِمْ
أَحِبَّ لِكُلِّ أَحَدٍ

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ .

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِداً

أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَاءَتِ الْأَدَبُ ؟

أَسَأْتُ عَلَى اللَّهِ فِي حُكْمِهِ
لَأَنْتَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ
فَجَزَاكَ رَبِّي بِأَنْ زَادَنِي
وَسَدَّ عَلَيْكَ وَجْهَ الطَّلَبِ
وَقَدْ ذَكَرْتُ أَشْعَاراً لَطِيفَةً فِي ذَمِّ الْحَسَدِ، وَأَقْسَمُ
الْحَسَدَةَ فِي آخِرِ « شَرْحِ شَوَاهِدِ شَرْحِ الْقَطْرِ »^(١)، وَبَيَّنْتُ
هُنَا أَنَّ الْحَسَدَةَ رَبِّهَا حَصَلَ بِهِمْ نَفْعٌ لِلْمَحْسُودِ مَعَ ضَرَرِهِمْ
لِأَنْفُسِهِمْ .

وَأَمَّا ضَرَرُهُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْحَاسِدَ يَتَأَلَّمُ، وَلَا يَرَالُ فِي
كَمَدٍ
وَأَنْشَدُوا :

دَعِ الْحَسُودَ وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ كَمَدٍ
كَفَاكَ مِنْهُ لَهَبُ النَّارِ فِي كَبَدِهِ
إِنْ لُمْتَ ذَا حَسَدٍ نَفْسُ كُرْبَتِهِ
وَإِنْ سَكَتُ فَقَدْ عَدَّتْهُ بِيَدِهِ
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ ظَالِمًا
أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِنَ الْحَاسِدِ، مُحَرَّرًا لِأَزْمٍ، وَنَفْسًا دَائِمًا، وَعَقْلًا

(١) واسمه « سِتْلُ الْهُدَى »، وهو مطبوعٌ

هائمٌ، وخسرةٌ لا تنقصي .

وفي « سنن أبي داود »^(١) عن أبي هريرة رضي الله

(١) (برقم : ٤٩٠٣)

ورواه عبد بن حميد (رقم : ١٤٣٠) ، والحرانفي في « مساوي »

الأحلاف (٧٩١) ، والحدادي في « التاريخ الكبير » (٢٧٢/١/١) .

وفيه راوٍ مجهولٌ .

وله شاهدٌ .

رواه بن أبي شيبة (٩٣/٩) ، وأبو الشيخ في « التلويح » (٥٩) ، وابن

عديبر في « التمهيد » (١٢٤/٦) ، والخطيب في « الكفاية » (٣٤٥)

من طريق الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أس

وزيد فيه ضعفٌ .

وهو طريقٌ آخر عن أس .

يرويه الخطيب في « تاريخه » (٢٢٧/٢) من طريق أبي هلال عن قتادة

عن أس

وأبو هلال مصنفٌ، لكن في حديثه عن قتادة بينٌ

وحسنه المرقى في « تخريج الأحياء » (٤٥/١) .

وهو كما قال - بشواهد

وله شاهدٌ آخرٌ .

يرويه أبو داود (٤٩٠٤) وأبو يعى (٣٦٩٤) من طريق سعيد بن أبي

«حمياء» عن سهل بن أبي أمامة، عن أس مرفوعاً، وفيه . « إن أخذت

يطلق نور الحسنة »

وهو حسنٌ لدانٍ . إن شاء الله =

عنه، عن النبي ﷺ أنه قال : « إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَابَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ »، أو قال « ... الخشب » .

قال في « غذاء الألباب »^(١) :

فبِاللَّهِ عَلَيْكَ اعْرِفْ قَدَرَ الدُّنْيَا، وَاعْلَمْ أَنَّهَا هُمُومٌ
مُتْرَاكِمَةٌ، وَغُمُومٌ مُتَلَاطِمَةٌ، وَحَسَابٌ وَعَذَابٌ، وَهِيَ حِرْقٌ
وَتَرَابٌ، وَصَوْرٌ وَخَرَابٌ، فَرُجِمَ اللَّهُ امْرَأً عَرَفَ نَفْسَهُ،
وَعَرَفَ الدُّنْيَا، وَعَمَلَ عَلَى مُقْتَضَى كُلِّ بَحْسَةٍ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِنَا مِنَ النَّورِ مَا يَزُولُ بِهِ
الدِّيْجُورُ، وَنَشَاهِدُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ عَلَى حَسَبِ مَا يُرْضِي الْغَفُورُ،
يَنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، رَوْفٌ رَحِيمٌ .

= سعيد - وثقه ابن حبان، وروى عنه جماعة .

فالحديث صحيح لغيره .

(١)، (٢٨٥/٢ ٢٨٦)

وقد قال قبل ذلك بسطر واحد

« ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَحْسُدُ إِخْوَانَكَ عَلَى الدُّنْيَا وَخَطَائِمِهَا، وَأَمَّا قُرْآنُ
الْإِيلِ وَصُورُ النَّهَارِ، فَلَا أَرَاكَ تَحْسُدُهُمْ »

١٢ - فصل

في بيان الإنصاف في العلم وأنه يُزَيَّن العالم

قال أبو عمر بن عبد البر : من بركة العلم وآدابه ،
الإنصاف فيه ، ومن لم يُنصف لم يفهم ولم يفهم
وقال بعض العلماء : ليس معي من العلم إلا أني أعلم
أنني لست أعلم .

أقول : يُقدُّ مثل هذا الكلام فضيلة لقائله إذا كان عالماً
هادياً لنفسه ، عارفاً بنقصه بالنسبة إلى من هو أكثر منه علماً ،
وأنه إن كان لا علم عنده ، وقال ذلك تحجباً عن نفسه ،
ومُعترفاً بنقصه ، فيكون جاهلاً بسيطاً يجب عليه التعلُّم !
وقال محمود الزقاق :

أنتم الناس أعرفهم بنقصه

وأقمعهم لشهوتهم وحرصه

وعن عمر بن الخطاب أنه قال : لا تزيدوا في مجهول

النِّسَاء عَنِ أَرْبَعِينَ أَوْفَقَةً، وَلَوْ كَانَتْ بِنْتُ ذِي الْعَصَمَةِ - يَعْنِي
يَزِيدَ بْنَ الْحُسَيْنِ الْحَارِثِيَّ - فَمِنْ زَادَ الْقَبِيْثَ زِيَادَتَهُ فِي بَيْتِ
لَدُنِّهَا، فَقَامَتْ امْرَأَةٌ مِنْ صِفِّ النِّسَاء طَوِيلَةً فِيهَا فَطَسُرُ،
فَقُلْتُ : مَا ذَلِكَ لَكَ، قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَتْ : لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ
شَيْئًا ﴾ ^(١)، فَقَالَ عُمَرُ : امْرَأَةٌ أَصَابَتْ، وَرَجُلٌ أَخْطَأَ ^(٢).

وهذا في غَايَةِ الْإِنْصَافِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ مَا أُعْطَاهُ
اللَّهُ مِنَ الْخِلَافَةِ وَالْمَهَابَةِ، وَمَحَبَّةِ الرِّعَايَةِ، وَكِبَالِ الشَّرَفِ
وَالسُّؤْدُدِ، وَكَثْرَةِ الْفَتْوحَاتِ، وَكَوْنِهِ مُنْهَمَا مُحَدَّثًا حَيْثُ اعْتَرَفَ
بِالْخَطَا، وَرَجَعَ عَنْهُ ^(٣)، لِنِسْبِهِ امْرَأَةً، قَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ
وَعَنِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ الْمُنْصَفِينَ .

قَالَ أَبُو عُمَرَ : وَكَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَقُولُ : مَا فِي
زَمَانِنَا شَيْءٌ أَقْلُّ مِنَ الْإِنْصَافِ

(١) النِّسَاء ٢٠ .

(٢) رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي « سَنُو » (١٦٦/٣/١)، وَابْنُ أَبِي
(٢٣٣، ٧) بِسَلْسِلٍ مُنْقَطِعٍ، وَفِيهِ تَجَالُفٌ تَهْمِدَانِيٌّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ .

وَلَهُ مُلَوَّنٌ أُخْرَى ضَعِيفَةٌ وَمُسْكِرَةٌ، كَمَا تَرَاهُ فِي « إِرْوَاءِ أَهْبِيلِ »
(٣٤٨/٦) شَيْخِنَا الْأَلْبَانِيِّ .

(٣) وَفِي كِتَابِي « قُبُوبُ الْحَقِّ » أَمْشَةُ عِدَّةٍ، وَصُورُ شَيْءٍ

وعن عبدالرحمن بن القاسم قال : قلت لمالك : ما
أعلمُ شيئاً أعلمُ بالبيوع من أهل مصر ! فقال له مالك :
وَيْمَ ذلك ؟ قال : بك ، قال : أنا لا أعرف البيوع ، فكيف
يعرفونها لي ؟!

وقال خالد بن يزيد بن معاوية : غنيتُ بجمع الكتب ،
فما أن من العلماء ، ولا من الجهّال^(١) .
وقال يزيد بن عبد الملك :
إذا تحدّثتُ في مجلّسي

تتأهلي حديثي إلى ما غنيتُ
ولم أخلدْ علمي إلى غيره
وكان إذا ما تنهتُ سكّنتُ

وعن عبدالله بن زهّب قال : سمعتُ مالكا يقول :
المراء يُقسي القلب ، ويورث الضغن .
وإنما قال مالك رحمه الله ذلك ، لأنَّ المقصودَ من
العلم ، هو أن يكونَ سبيلاً موصلاً إلى مرضاة الله تعالى ، ولم

(١) فجميع الكتب إذا عبد غاية في عسهِ ضاع الثمرة التي من أجلها
تُجمع الكتب ، ألا وهي العلم والتعلم ، وبالتالي العمل والدعوة .

يَكُنْ من سيرة السلف الصالح الجدال والمراء، بل قصدهم ظهور الحق، كما قال الوالد عليه الرحمة في بعض رسائله، وقد أفتى بمسألة، فحطأه بعض مشايخنا، وكتب إلى لوالد بذلك، فأجابه برسالة قال في أولها : « ... وهذا أخي ليس من الذين يعني الاعتراض من غير تحقيق - ولا من سئة عبد الله الصالحين، لا سيما الإخوان المتناصبين، فلقد كان منهم من يقول : أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، إذ لم يكن لهم قصد إلا ظهور الحق، ولم يبالوا مع من كان » .

ثم ذكر رحمه الله تعالى الجواب في قريب من عشرين صفحة، تبين فيها خطأ شيخنا رحمه الله بشهادة العلماء الأعلام .

ومما يليق ذكره في هذا المقام، أنه وقعت لي عبارة في « الكواكب »^(١) وهي قوله : « فهو تعالى مستور على عرشه على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزهاً عن المماثلة والتشكيك والخلول » .

(١) واسم « الكواكب » بذرة على لذة الخفية « وهو شرح للمصنف عن « الذرة ... » لسفدي، وهو مطبوع

فَبَلَّغَنِي عَنْ بَعْضِ الْإِخْوَانِ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ قَوْلَهُ : مُزْمَعًا عَنْ
الْمُتَأَسِّتَةِ ، لَمْ يَرِدْ عَنْ السُّنَنِ !!!

وما كَدْتُ أَصْدُقُ لظُهُورِ الْمَسْأَلَةِ ، وَكُونِهَا مِنْ
الْبَدِيعِيَّاتِ ، حَتَّى تَوَاتَرَ الثَّقَلُ لَدَيَّ مِنَ الطَّلَبَةِ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ
أَذْكَرَ مُسْتَنَدِي هُنَا عَلَى وَجْهِ الْإِخْتِصَارِ ، تَسْبِيحًا لِلْغَافِلِ ، وَخَوْفًا
مِنْ اسْتِطَالَةِ الْجَاهِلِ ، وَإِلَّا فَمَحَلُّ بَسِطِ الْكَلَامِ عَلَى هَذِهِ
الْمَسْأَلَةِ فِي كِتَابِ الَّذِي أَلْفَنَاهُ فِي « الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ » عِنْدَمَا
عَوَدْتُ إِلَى إِتْمَامِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو نَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي :
« التَّدْمِيرَةِ »^(١) : « وَقَدْ عُيِمَ أَنَّهُ مَا شَمَّ مَوْجُودٌ إِلَّا الْخَالِقُ
وَالْمَخْلُوقُ ، وَالْخَالِقُ مُبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، لَيْسَ فِي
مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ ، وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ » .
فَهَذَا الْكَلَامُ صَرِيحٌ فِي عَدَمِ مُتَأَسِّتَةِ الْبَارِي تَعَالَى لَشَيْءٍ
مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ ، إِذِ الْمُبَايِنُ غَيْرُ مُتَأَسِّسٍ ، فَالْمُبَايِنَةُ وَالْمُتَأَسِّسَةُ تَقْيِضَانِ لَا
يَحْتَمِعَانِ ، وَلَا يَرْتَفِعَانِ

وَقَدْ خَطَّ الْعُقَلَاءُ وَمَسَّاهُمُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَأَبُو الْقَاسِمِ -
مَنْ يُنْسَبُ شَيْئًا ، وَيَنْبَغِي تَصْيِرُهُ . فَالَّذِي يَعْتَرِفُ بِالْمُبَايِنَةِ يُلْزِمُهُ عَقْلًا

١١ وهي مِنْ أَجْوَدِ رِسَالَتِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَقْرِيرِ أَصُولِ الْعَقِيدَةِ

الاعتراف بعدم المسألة، وإلا كابر العقول، وخالف المنقول، وهذا في غاية الغباوة والبلاهة عند العقلاء .

وقد صرح بذلك الإمام أحمد في « رده على الجهمية »^(١)، حيث قال : « فبما ظهرت الحجة على الجهمي بما ادعى على الله عز وجل أنه مع خلقه في كل شيء، قال : هو غير مُناسٍ للشيء، ولا مُباين منه، فقلنا للجهمي : إذا كان غير مُباين، أليس هو مُناساً ؟ قال لا، فقلنا : فكيف يكون في كل شيء غير مُناسٍ للشيء ؟ فلم يُحسن الجواب، فقال : بلا كيف، فخدع الجهال بهذه الكلمة وموه عليهم^(٢) .

والشاهد من هذا قوله : « إذا كان غير مُباين أليس هو مُناساً ؟ » .

فقول أهل السنة : بائن من مخلوقاته، معناه : غير مُناسٍ لها .

(١) (ص ٩٧ - صمن « عقائد السلف »)

(٢) وهكذا المرائخ الجهمية المعاصرون ليس في معانيهم إلا الخداع والتشويه، والكذب والتسفيه ! ولهم - مع هذا كله - مكشوفون عند كل عاقل ربيّه !!

وأما من لم يعترف بالمباينة، فقد صرَّح بكُفْرِهِ إمامُ أئمةِ
أهلِ السُّنَّةِ .

وقال ابنُ القيمِ : في « الجيوش الإسلامية »^(١) لما ذكرَ
قولَ الإمامِ أحمدَ :

« وقال في موضع آخر : وإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ على عرشِهِ
فوقَ السَّماءِ السَّابعةِ، يعمُّ ما تحتَ الأرضِ السفلى، وإِنَّهُ غيرُ
مُماثلٍ لشيءٍ من خلقه، وهو تبارك وتعالى بائنٌ من خلقه،
وخلقُهُ بائونٌ منه » .

فاطُرَ إلى قولِ الإمامِ أحمدَ : « وإِنَّهُ غيرُ مُماثلٍ شيءٍ
من خلقه » ! وهل يقولُ مسلمٌ : إنَّ العرشَ ليسَ من جملةِ
خلقهِ، وإنَّ اللهَ ليسَ مُبايناً له، حاشا وكلاً
قال شيخُ الإسلامِ رضي اللهُ عنه في « الشُّمرَةِ » بعدَ
كلام :

« وإنَّ أَرَادَ أَنَّهُ مُتَجَاوِزٌ عَلَى المخلوقاتِ، أي : مُباينٌ لها،
مُنفصلٌ عنها، ليسَ حالاً فيها، فهو سبحانه وتعالى كما قال
أئمةُ أهلِ السُّنَّةِ : فوقَ سَمَوَاتِهِ على عرشِهِ، بائنٌ من خلقِهِ » .
فهذا صرَّحَ في أَنَّهُ سبحانه وتعالى مُفصلٌ عن مخلوقاته،

(١) (ص ٨٠)

يسنّ مُناساً لشيءٍ منها، ومن جُيئَها القَرش .
وقال رحمه الله : « فَأَمَّا عُذُوهُ » ومُبايئته للمخلوقات،
فَيَعْلَمُ بالعَقْلِ المُوَافِقِ لِلسَّمْعِ، وَأَمَّا لاسْتِواءُ عَلَى القَرشِ،
فَطَرِيقُ العِلْمِ بِهِ هُوَ السَّمْعُ «^(١).
ونَقَلَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي
« شَرْحِهِ لِحَدِيثِ التَّنْزِيلِ » عَنْ شَيْخِ الإِسْلامِ لِأَنْصَارِيِّ^(٢)،
صَاحِبِ « مَنَازِلِ السَّائِرِينَ » الَّذِي شَرَحَهُ الإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي
« مَدَارِجِ السَّالِكِينَ » - وَهُوَ مِنْ أَكْثَرِ أَهْلِ السُّنَّةِ رَدّاً عَلَى
الثُّقَاةِ مَا نَصَّهُ :

(١) يُرَاجَعُ كِتَابُ « لُفُوزُ الْعَبْدِ الْعَظِيمِ » لِلإِمَامِ لُذْهَبِيِّ، فَمِنْهُ نَفْخٌ
كَبِيرٌ .

(٢) مِنْ تَعْلِيقِ الْمُصَنِّفِ فِي حَاشِيَةِ « الْأَصْلِ » مَا نَصَّهُ
وَنَسَبَهُ . لَوْ عَرَفَ الْمُعْتَرِضُ مَسْأَلَةَ الْخِلَافِ بَيْنَا وَبَيْنَ « الْجَهْمِيَّةِ » لَمْ
اعْتَرِضْ .

فَالْجَهْمِيَّةُ الْخُلُولِيَّةُ قَالُوا : هُوَ تَعَالَى فِي كُلِّ مَكَانٍ
وَالْجَهْمِيَّةُ الثُّقَاةُ قَالُوا : لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ
وَأَهْلُ السُّنَّةِ قَالُوا : هُوَ عَلَى عَرْشِهِ، بَاقٍ مِنْ جَمِيعِ مَحْذُومَاتِهِ
(٣) هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَمِيٍّ أَهْرَوِيٌّ، وَصَفَّهُ
الْإِسْهَاقِيُّ فِي « السِّيَرِ » (٥١٣/١٨) يَقُولُ : « الإِمَامُ، الْقُدُّوسُ، الْحَافِظُ الْكَبِيرُ »
وَفِي كِتَابِهِ هَذَا خَفَوْتُ، اللَّهُ عَلَى (بَعْضِهَا) ابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

« هو على عرشه بإخباره لنفسه . فالعرش حدٌ خلقه
 الأعلى ، وهو غير محدودٍ بعرشه ، والعرش محتاجٌ إلى مكانٍ .
 والربُّ عزٌّ وجلٌّ غيرٌ محتاجٌ إليه ، كما قد سبحانه وتعالى :
 ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه: ٥] ، الرحمن :
 اسمٌ ، والاستواء : نعتُهُ مُتَّصِلٌ بذاته ، والعرش : خلقه
 منمَّصلٌ عن صفاته ، ليس بمضطرٍّ إلى مكانٍ يستعنه ، ولا حاملٍ
 يحمله »

هذه نصوص أهل العلم كما رأيت - صريحةٌ وظاهرةٌ
 في نفي المماثلة لشيءٍ من المخلوقات ، والعرش منها^(١) . ومع
 هذا فإنني أطلب الدليلَ ممن خالفني .
 قال سبحانه وتعالى : ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم
 صادقين ﴾ [البقرة: ١١١] وليس لأحدٍ أن يثبت شيئاً أو ينفيه

(١) من تعين لمصنف على الأصل « ما به » :

« صريحٌ لشيخ عبد القادر الجيلاني في « النية » والأكرومي في « حلاء
 القبيس » ، وصدِّيق [حسن حال] في « الانتقاد للرجيح » ، سي المأسة
 وذكر في « لوائح الأنوار » و « النية » أنَّ القول بالمماثلة هو قولُ
 المحضة

ونقل في « حلاء القبيس » عن ابن الحوريِّ أنه قال في أماسي يُجبرون
 المأسة . « عليهم اللعة . يسموا مُسمين »

إلا بدليل، كما قاله شيخ الإسلام وغيره، ومن حفظ حجة على
 من لم يحفظ، والمصادمة في الثقل غير جائزة
 قد سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ قَالُوا كَذَّبُوا
 بِآيَاتِنَا فَلَمْ يَذْكُرُوا مَا عَلَّمْنَاهُمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ مَوَاجِبٍ ﴾ [الأحقاف: ١١] .
 وقال سبحانه وتعالى : ﴿ تِلْكَ كَذَّبُوا بِهَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا عِلْمٌ خَالِدِينَ ﴾ [يونس: ٣٩] .

والمناظرة في العلم لتحقيق الحق هي سيرة الفضلاء .
 وكلُّ يتكلم يا رزق الله تعالى من العلم والفهم .
 وقد قال بعض الفضلاء : لم أطلب العلم لأبغ أقصاه ،
 ولكن لأعلم ما لا يستعني جهله .
 وقال الشاعر :

إذا ما انتهت علمي تاهيت عنده
 أطال فألمي أم تناهى فأقصرا
 ويخبرني عن غائب المرء فعلمه
 كفى لفعل عما غيب المرء مخبرا
 قال أبو عتمر : وكان يقال : إذا علمت العاقل علماً
 حمدك، وإن علمت الجاهل ذمك ومقتك، وما تعلم مستحي
 ولا منكبر قط .

وقال الحسن : العاملُ على غير علم كالسائلِ على غير طريقٍ، والعاملُ على غير علم، ما يُفسدُ أكثرُ مما يُصلحُ، فطلبوا العلمَ طلباً لا يضرُّ بالعبادة، واطلبوا العبادةَ طلباً لا يضرُّ بالعلم، فإنَّ قوماً طلبوا العبادةَ وتركوا العلمَ حتى خرجوا نسيافهم على أئمة محمد ﷺ^(١)، ولو طلبوا العلمَ لم يدلهم على ما فعلوا

وعنه أيضاً قال : إنَّ من أخلاقِ المؤمنِ قوَّةٌ في دين، وحرماً في لين، وإيماناً في يقين، وجِراً على علم، وشفقةً في مقة^(٢)، وقصداً في عبادة، ورحمةً للمتجهدين، وإعطاءً سئال، لا يخيفُ على من يُغض، ولا يائسُ فيمن يُحب، في الزلازل وقور، وفي الرخاء شكور، قانعٌ بالذي له، ينطقُ ليخبرهم، ويسكتُ ليسلم، ويُقرُّ بالحقِّ قبل أن يشهد عليه . قلتُ : فما أحسنَ هذا الكلامَ، وأصدقهُ، وجديرُ بمن نصَحَ نفسه، وخالفَ شيطانه وهواه، أن يحملَ نفسه على

(١) ما أنشأه الأئمة باليوم !

فجماعاتُ العترة المدعية للولاء والبراء والجهاد (١) نفس أكثر من

هذا !! فلا قوَّة إلا بالله

٢ بمعنى الصيانة والنصح

الإنصاف به، ويجاهدها في سبيل الحق ليفوز بالسعادة دُنيا
وأخرى

وقد أشار إليّ بعض أصحابي الأذكياء أن ذُكرَ هذه
المسألة هنا، لعلهم بها يقولُ إليه الشبهة، ولَبَسَ الحقَّ بالباطلِ ممَّا
لا تُحمدُ عاقبته، فامتثلتُ إشارتهُ
وأما أنا فإنِّي أحتقرُ كلَّ كلامٍ صدرَ عن سوءِ نيةٍ،
وأغراضٍ رديئةٍ

ولقد أحسنَ القائلُ

ومهما تكررَ عندَ امرئٍ من حليقةٍ
وبنِ خالها تخفى على الناسِ تُعلمُ

○○○○○

١٤ - فَصْلُ

في فوائد مُهمّةٍ وحِكمٍ مُفيدَةٍ
حقيقٌ بطالبِ العلمِ فهُمُّها

اعلم أنّ من الآدابِ التي يتّعيّ لطالبِ العلمِ فهُمُّها،
والعَمَلُ بها، ما أرشدَ إليه الأئمّةُ الفضلاءُ، الذين أفنوا
أعمارهم في طَلَبِ الفضائلِ والأعمالِ الصّالحةِ، كالإمامِ ابنِ
حزم، فقد قال رحمه الله تعالى في كتاب «مداواة
النُّفوس»^(١):

« إذا حَضَرَتْ مجلسَ العلمِ، فلا يَكُنْ حَضورَكَ إِلَّا
حضورَ مُستفيدٍ، مُستزِدٍ علماً وأجراً، لا حُضورَ مُستغْنٍ بما
عندَكَ، طالباً عَثَرَةً تُشْنَعُها، أو غَرِيبَةً تُشَبِّعُها، فهذه أفعالُ
الأراذلِ الذين لا يُفلحون في العلمِ أبداً »..

(١) (ص ٤١١ - ص ٥ مجموع رسائل ابن حزم ١) .
وقد نقلت هذه الكلمة في أواخر كتابي « غُودة بنِ السُّنة » وراجعه .

قال : « وإني ألك أن تراجع مراجعة لعالم، وإذا ورد عليك خطاب بلسان، أو هجمت على كلام في كتاب، فليأتك أن تقبله مقابلة لمغاضبة الباعثة على المعالجة، قبل أن تتبين بطلانه ببرهان قاطع » .

قلت : وهذا سبب - والعياذ بالله - لعدم التوفيق، كما قال الإمام ابن القيم في « الثبوتية »^(١) :

إنَّ البِدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ تُحْطْ

علماً به سبب إلى الجرماني

قال ابن خزم : فرض على الناس تعلم الخير والعمل به، فمن ختم الأمرين، استوفى الفضلين معاً، ومن علمه، ولم يعمل به، فقد أحسن في التعليم، وأساء في ترك العمل به، فخلط عملاً صالحاً، وآخر سيئاً، وهو خير من آخر لم يعلمه ولم يعمل به، وهذا الذي لا خير فيه أمثل حالاً، وأقل دماً من آخر ينهي عن تعلم الخير، ويصد عنه .

قلت : والمتصِفون بصفة هذا القسم الأخير سُمِّاهم

١ - وهي قصيدة من أعظم نظم ابن القيم رحمه الله، لما حوته من فوائد عميقة عقائدية فنية .

الإمام ابن القيم في « مفتاح دار السعادة »^(١) ثواب إيبس في الأرض، وهم الذين يُبْطُونَ النَّاسَ عَنِ طَلَبِ الْعِلْمِ^(٢)، والتَّفَقُّه في الدِّين، فهؤلاء أَضَرُّ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْجَنِّ، فَإِنَّهُمْ يَحُولُونَ بَيْنَ الْقُلُوبِ، وَبَيْنَ هُدَى اللَّهِ وَطَرِيقِهِ .

قال بعضُ العلماء : ينبغي لطالِبِ العلم أن لا يُتَارَعَ أَحَدًا، ولا يُخَاصِمَهُ، لَأَنَّهُ يُضَيِّعُ أَوْقَاتَهُ، وَأَنْشَدَ :

ولا تَجْزِرْ إِنْسَانًا عَنِ سَوَاءِ فَعْدِهِ

مَيِّكَفِيهِ مَا فِيهِ وَمَا هُوَ فَاعِلُهُ^(٣)

(١) وَقَدْ انْتَهَيْتُ مِنْ تَحْقِيقِهِ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَقَدْ جَاءَ فِي مَجْلَدَيْنِ كَبِيرَيْنِ، وَهُوَ الْآنَ يُطْبَعُ

(٢) وَتَشْيِطَاتُهُمْ النَّاسَ عَنِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ تَحْمِلُ صُورًا عِدَّةً تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ بَرْمَانٍ وَاخْتِلَافِ الْمَكَائِلِ !

فَالْيَوْمَ . عَلِمْنَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُبْطِلِينَ ضَلُّوا ! وَصَبَّحُوا فِي النَّاسِ بَدَلًا مِنْ النَّاسِ !!!

. هَكَذَا يَقُولُونَ - وَغَيْرُهُ كَثِيرٌ - تَبَعِيًّا، وَتَشْيِطًا، وَإِعَادًا لِشَبَابِ وَالْأُمَّةِ عَنْهُمْ !

وَلَكِنْ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾

(٣) وَقَدْ جَرَيْنَا ذَلِكَ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - عَمَلِيًّا، مَعَ أَنَاسٍ نَوُودِينَ فِي الْخُصُومَةِ، لِمُوجِبِينَ بِالْمَاضِلِ، يَقُولُونَ مَا لَا يَقُولُونَ ! وَيُظْهِرُونَ خِلَافَ مَا يُبْطُونَ ! يُشَكِّكُونَ بِالسُّنَنِ وَدَعَائِمِهَا، وَيَطْمَرُونَ بِالْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ، وَيُثْلِمُهُمْ -

قِيلَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يُرِعِمَ أَنْفَ عَدُوِّهِ ، فَلْيَجِدْ فِي كَسْبِ
الْمَصَائِلِ ، وَجَتْنِبِ الرِّذَالِ .

وهذا قال الشاعر :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَتَّقِيَ عَدُوَّكَ رَعِيًّا
وَتَقْتُلَهُ غَمًّا وَحَرْقًا هُمًّا

فَرِمَ لِلْعَلَى وَارْدَدَ مِنَ الْعَنَمِ إِنَّهُ
مَنْ أَرَادََ عِلْمًا رَادَّ حَامِدُهُ عَمًّا

وقال المصنفون من العلماء العاملين : عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِ
مَصَالِحَ نَفْسِكَ ، لَا يَقْهَرِ عَدُوَّكَ ، فَإِذَا قُمْتَ بِمَصَالِحِ
نَفْسِكَ ، تَضَعُ ذَلِكَ قَهْرَ عَدُوِّكَ ، وَإِيَّاكَ وَالْمُعَادَاةَ ، فَإِنَّهَا
تَفْضَحُكَ ، وَتُضَيِّعُ أَوْقَاتَكَ ، وَعَلَيْكَ بِالتَّحَمُّلِ لَا سَهْوٍ مِنْ

= - مع ذلك كله - ضاع الجمل ١ .

مِمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ ، وَكَلَّمْنَا أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَتَلَكَّرْنَا قَوْلَ رَبِّهِ سَبْحَتَهُ .
﴿ مَا أَرِيدُ فِدَهًا جُذَاءً وَأَنْتَ مَا يَبْعُ سَائِرَ فَيْسُكَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، وَقَوْلُهُ
عَزَّ شَدَّةً . ﴿ إِنَّ رَبَّكَ بِالْمِرْصَادِ ﴾ ، فَكَانَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - أَنْ كَفَانَا اللَّهُ
شَرَّهُمْ ، وَابْتَدَأَ عَمَّا صَرَّهَمُ

وَعَنْ وَاقِقُونَ - أَيْضًا - أَنَّ إِحْوَابَ بَيْنِ طُلَّابِ الْعِلْمِ الصَّائِبِينَ الْمُتَصَبِّينَ
سَيَكْتَسِبُونَ حَقِيقَةَ هُؤُلَاءِ ، وَسَيَعْرِفُونَ مَقْصِدَهُمْ الْحَقِيقَةَ
﴿ وَسَيَعْلَمُ تَدْبِيرَ طَلَمُو كَيْ تَقْبَلُ بِتَقْلِبُونَ ﴾

السُّمَاءُ ، وَإِنَّكَ أَنْ تَظُنَّ شَرًّا بِالْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّهُ مَنَشَأُ الْعَدَاوَةِ ،
وَلَا يَحِلُّ ذَلِكَ .

قَدْ عُمِّرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ . وَلَا تَظُنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ
مِنْ أَحَدٍ شَرًّا تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا
وَإِنَّمَا يَنْشَأُ سُوءُ الظَّنِّ مِنْ حُبِّ النَّفْسِ ، وَسُوءِ السَّرِيرَةِ ،
كَمَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

إِذَا سَاءَ فَعَلُ امْرِءٍ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ نَوَاهِمِهِ
وَعَادَى مُحِبِّيهِ بِقَوْلِ عِدَاتِهِ
وَصَبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّكِّ مُظْلَمٍ
وَقَالَ الْآخَرُ

تَنَحَّ عَنْ لَقِيحٍ وَلَا تَرُدَّهُ
وَمَنْ أَوْلَيْتَهُ حُسْنًا فَزِدْهُ
سُكْنً مِنْ عَدُوِّكَ كُلِّ كَيْدٍ
إِذَا كَادَ الْعَدُوُّ فَلَا تَكِدْهُ
وَقَدْ غَيْرُهُ :

ذُو الْعَقْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ جَاهِلٍ
يَسُومُهُ ظُلْمًا وَإِعْنَاتًا

فَلْيُخْتَرْ السَّلَامُ عَلَى حَرِّهِ

وَلْيُلْزَمِ الْإِنْصَادُ إِنْ صَاتَا

وَلَا بُدَّ لَطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْمُواظَبَةِ عَلَى الدَّرْسِ وَتَكَرُّارِ
فِي أَوَّلِ ابْنِي وَآخِرِهِ، وَلِهَذَا قِيلَ : مَنْ أَسَهَرَ نَفْسَهُ بِاللَّيْلِ،
فَقَدْ فَرَّخَ قَلْبَهُ بِالنَّهَارِ

وَيَتَّبِعِي لِلطَّالِبِ أَنْ يَغْنَمَ أَيَّامَ الْحِدَاثَةِ، وَغُنْفَوَانَ
الشَّبَابِ، كَمَا قِيلَ :

يَقْدِرُ الْكَدُّ تُعْطَى مَا تَرْوُمُ

فَمَنْ رَامَ الْعُلَى لَيْلًا يَقْصُومُ

وَأَيَّامَ الْحِدَاثَةِ^(١) فَغَنِمَهَا

لَا إِنَّ الْحِدَاثَةَ لَا تَدُومُ

وَمَنْ يَجْمَلُ بِطَالِبِ الْعِلْمِ الْهَمَّةُ الْعَالِيَةُ فِي التَّحْصِيلِ،
وَعَدَمُ الْإِنْقِطَاعِ عَنِ الْقِرَاءَةِ، فَإِنَّ الْمَرْءَ يَطِيرُ بِهَمَّتِهِ، كَالطَّيْرِ
يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ .

وَعَلَيْهِ الْأَسْتِقَامَةُ وَالصَّبْرُ، وَالثَّبَاتُ وَالْاجْتِهَادُ، فَسَيَأْتِيهِ
يَوْمٌ يَحْمِلُهُ مَا مَضَى مِنْ اجْتِهَادِهِ .

(١) إِنَّهَا حِدَاثَةُ السَّنِّ وَالشَّبَابِ، وَلَيْسَتْ حِدَاثَةُ الْعُمُرَيْنِ

لِحَقْدِيرٍ^١ فَاحْذَرَهَا !!

وليحذر الكسل والفتور والملل، فمن ذلك يكون
التقصا .

وما أحسن ما قيل :

لكلُّ إلى شأورِ الغلا حركات

ولكن قليل في الرجاء بُدث

قال العلماء : ولا بدُّ لطالب العلم من مُداكرة
والمُناظرة، والمُطارحة، فينبغي أن يكون بالإنصاف، والتأني
والتأمل، ويحترز عن الغضب والشغب، فإنَّ المُناظرة والمُداكرة
مُشاورة، والمُشاورة إنَّها تكون لاستخراج الصواب، وذلك إنَّها
يُحصل بالتأمل والإنصاف، ولا يحصل بالشغب والغضب
وقد كان بعض العلماء المنصفين إذا توجهَ عليه
الإشكال، ولم يحضره الجواب، يقول : ما أُرْمَتْهُ لارم، وإنَّ
فيه ناظرًا^(١)، لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ
عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦] .

(١) أي : متوقِّف ومُتأمل، وفي رسالتي « أقول لأثري في فضل
لا أدري » مباحث حافية في تقرير بصراف العلماء في ذلك، وبيان نُصليهم،
يسرُّهُ إتمامها ونشرها .

١٥ - فصل

في فضيلة كُتُب العلم وبيان الاستغناء بها عن
مجالسة أكثر الناس

حقيق بمن رزقه الله علماً وفهماً أن لا يُضَيِّع أوقاته سدىً
وهملًا بغير طاعة، وأن لا يشغَلَ نفسه بالدهور والبطالة، فهذه
حالة لا يرضاها لنفسه اللبيب، ومنزلة يتعوذ منها الأريب .
وقد ذكر الإمام ابن القيم في « مفتاح دار السعادة »
عن بعض السلف أنه قال : إذا أتى عليَّ يومٌ لا أزدادُ فيه
علماً يُقرِّبني إلى الله، فلا بورك لي في طلوع شمسٍ ذلك اليوم .
قال : وفي مثله قال القائل :

فإن مرَّ بي يومٌ ولم أَسْتَفِدْهُ سدىً

ولم أكتسبِ عباً فما دلك من عمري

الحزْمُ كلُّ الحزْمِ أن يعرفَ الإنسانُ قيمةَ عمره، ولا

يُفنيه إلا بطاعة الله تعالى، أما يُرضيه أن يجعلَ الكائنات له

أَيْسَاءُ، وَلَا يَسْتَدِلُّ بِهِ مِنْ لِنَاسٍ جَلِيسًا، فِي دَيْكٍ مِنْ
الْفَوَائِدِ بِجَلِيلَةٍ مَا عَرَفَهُ أَرْبَابُ الْقَنُوبِ الْوَاعِيَةِ، وَلِلْفُوسِ
الْبَرْكَاتِ

وهذا قد الإمام ابن عبد القوي^١ - رحمه الله :
وفي خلوة الإنسان ما تعلم أنسه
وتسلم دهر المرء عند توحده
وتسلم من قد وقيل ومن أذى
جليل ومن واش بغيب وحسد
فكن جالس بيت فهو ستر لثورة
وحرر الفتى عن كل غاو ومفسد
وحير جليس المرء كثر تبيده
علوماً وآداباً كغفل مؤثـ
وخاطب إذا حاطت كل مؤفـ
من لعلها أهل الشئ والتعبـ

١ في « منظومة لأدب »، وهي من أحسن وأوسع المنظومات
عميدة الوعظية

وقد شرحها غير واحد من أهل العلم، أشهرهم الشافعي الحلي في
« عداء لأدب » - وقد تقدم الغزو إليه مراراً - وهو مطبوع في مجلدتين

يُفِيدُكَ مِنْ عِلْمٍ وَيَتَهَاكَ عَنْ هَوًى
فَصَاحِبُهُ تُهْدَى مِنْ هُدَاهُ وَتَرْشُدُ
فَالْعَاقِلُ إِنَّمَا يُخَالِطُ الْأَفَاضِلَ الْأَمْثِلَ مِنْ أَهْلِ التَّعَبُّدِ
وَالْعِلْمِ وَالرِّزَانَةِ وَالْجِلْمِ، فَإِذَا لَمْ يَجِدْ مَنْ هَذِهِ صِلَتُهُ، فَلْيَعْبِثْ
عَلَى الْعِلْمِ، وَمُطَالَعَةِ كُتُبِهِ؛ كَمَا قِيلَ :

الْعِلْمُ آتَى صَاحِبِهِ أَهْلُوهُ فِي وَحْدَتِي
فَإِذَا اهْتَمَمْتُ فَسَلَوْنِي وَإِذَا خَلَوْتُ فَلَدَّتْنِي

قَالَ الْفَضْلَاءُ : إِنَّ الْكِتَابَ هُوَ الْخَلِيسُ الَّذِي لَا يُنَافِقُ
وَلَا يَمَلُّ، وَلَا يُعَاتِبُكَ إِذَا جَفَوْتُهُ، وَلَا يُفْشِي سِرَّكَ .

وَقَالَ بَعْضُ النُّوَرَاءِ لَتَبْنِي : يَا بَنِي إِذَا وَقَعْتُمْ فِي
الْأَسْوَاقِ، فَلَا تَقِفُوا إِلَّا عَلَى مَنْ يَبِيعُ السِّلَاحَ، أَوْ يَبِيعُ
الْكُتُبَ .

وَأَرْسَلَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ فِي طَلَبِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لِيَسْتَأْمِرَهُ،
فَلَمَّا جَاءَ الْخَادِمُ إِلَيْهِ، وَجَدَهُ جَالِساً وَحِوَالِيهِ كُتُبٌ، وَهُوَ يَطَالَعُ
عِهَا، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْعِيكَ، قَالِ : قُلْ لَهُ :
عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ أُحَادِثُهُمْ، فَإِذَا فَرَغْتُ مِنْهُمْ حَضَرْتُ .
فَلَمَّا عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْخَلِيفَةِ، وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ لَهُ :
وَيَحْتَكَ أَمِنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ الَّذِي كَانُوا عِدَّةً ؟ قَالَ : وَاللَّهِ يَا

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ .
قال : فَأَحْضِرُهُ السَّاعَةَ كَيْفَ كَانَ .
فَلَمَّا خَصِرَ ذَلِكَ الْعَالَمُ ، قَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : مَنْ هَؤُلَاءِ
الْحُكَمَاءُ الَّذِي كَانُوا عِنْدَكَ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

نَا جُلَسَاءُ مَا تَمَلُّ خَدِيقَتَهُمْ
الْإِنَاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهُدًا
يُعِيدُونَ مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى
وَرَأْيَا وَتَنْدِييَا وَمَجْدًا وَمَشْهُدًا
فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ فَلَمْ تَعُدْ أَمْرَهُمْ
وَبِنْ قُلْتَ أَحْيَاءُ فَلَسْتَ مُنْشِدًا
فَعَلِمَ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ يَشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْكُتُبِ ، وَلَمْ يُسْكِرْ عَلَيْهِ
تَأْخُرُهُ

وَقَالَ الْجَاهِلُ : دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَمِيرِ بَغْدَادٍ
فِي أَيَّامِ وَلَايَتِهِ ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي الدِّيَّوْنِ ، وَالنَّاسُ مَثْوُونَ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، كَأَنَّهُ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ مَدَّةٍ ، وَهُوَ
مَعزُولٌ ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي خَزَانَةِ كُتُبِهِ ، وَخَوَالِيهِ الْكُتُبِ وَالذَّفَافِرِ
وَالْمَسَاطِرِ ، فَمَا رَأَيْتُهُ أَهْيَبَ مِنْهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ .

وقال أبو الطيّب :
أعرّ مكانٍ في الدُّنا سترجُ سابح
وخبرُ جليسٍ في الرُّمانِ كتابٌ (١)
○○○○○

(١) وفي كتابي « حليّة الكتاب، وثلعة المطالع » فوائدٌ غالبةٌ في بيانِ
أهمّيّةِ كتاب، وما قبلَ فيه، وما يتّصلُ به، فراجعهُ

١٦ - فصل

في تنبيه ذوي الأفهام على نبذة من فضائل
الإمام شيخ الإسلام ومؤلفاته العظام

إِنَّ مَنْ احْتَصَتْهُ اللَّهُ تَعَالَى بِشَرَفِ الْمَنْزِلَةِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِعُلُوِّ
الْمَرْتَبَةِ، وَنَظَرَ بَعِيْنِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، وَجَانَّتْ جَانِبَ
الْاعْتِسَافِ، وَتَرَفَّعَ عَنِ تَقْدِيرِ أَرْبَابِ الْأَغْرَاضِ الرَّدِّيَّةِ،
وَأَحْلَصَ لِلَّهِ النِّيَّةَ، عِلْمَ يَقِيناً مَزِيَّةَ مُؤَلَّفَاتِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ
تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -، وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهَا أَجَلُ مُؤَلَّفَاتِ الْعُلَمَاءِ، كَمَا
أَنَّهَا عَلَامَةُ الْأَعْلَامِ .

سَبَقَ لِأَيْمَّةِ الْكِبَرِ، وَجَارِهِمْ فِي ذَلِكَ الْمَضَامِرِ،
وظَهَرَتْ لِلدَّكِّيِّ الْبَلِيْبِ صِحَّةُ أَقْوَالِهِ، لِقُوَّةِ أدْلَتِهَا، كَالشَّمْسِ
فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ، فَأَعَشَتْ لِمَنْ فُضِّلَهُ، وَانْتَصَرَتْ لِلسُّنَّةِ
السُّنِّيَّةِ خَفَافِيْشِ الْبِدْعِ^(١)، وَأَرْبَابِ الْعِنَادِ، فَعَادَةُ لِدَلَالَةِ

(١) كَمَا أَنَّ مَنْ جَهِلَ قَدْرَ نَفْسِهِ، وَرَفَقَ دُبَّةً، وَطَاشَتْ طَوْنُهُ، أَيْدِي =

الأخبار، فتجرد للذَّب عنه، ونشر فضائله احتساباً، خلافتُ
من العلماء العاملين ذوي التقوى، وقوة الإيمان واليقين، فآلقوا
في ذلك الكتب المستقلة .

فمنها : « مناقبه »^(١) للإمام ابن عبدالحادي، و
« مناقبه »^(٢) للإمام الحافظ سراج الدين البرار، و « مناقبه »
للشيخ الإمام شهاب الدين العمري^(٣)، وكتاب
« الحمية الإسلامية في الانتصار لأبن تيمية » للإمام أبي
المظفر يوسف العبادي العقيلي السمرقي، ثم الدمشقي، ومنها :
« الرد الوافر » لحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، ومنها :
« القول الجلي » في ترجمة ابن تيمية الحنبلي « للإمام صفوي
الدين التاتلسي، ومنها : « الكواكب الدرية في مناقب ابن
تيمية »، للعلامة الشيخ مرعي الحنبلي الجليل صاحب
« الغاية » و « الدليل »، ومنها : « جلاء العينين » للعلامة

= أرسل لسانه فيه، وسود رسائل في تكفيره وتصيبه من غير رادع ولا
رادع، فالله القوي .

(١) وهو المسمى « العقود الدرية »، مطبوع

(٢) وهو المسمى « المناقب الملتبة » مطبوع - وسائل الكتب الأخرى

(٣) واسمه أحمد بن يحيى بن فصل الله، توفي سنة (٧٤٩ هـ) ترجمته

في « الدرر الكامنة » (٣٣١/١) .

غير الدين الآكوسي؛ ردَّ به الأباطيل التي ذُكرت في « الفتاوى
الحديثية »^(١) وبينَ تطلّابها، وأنها زورٌ وكذبٌ وبُهتانٌ على
شيخ الإسلام - رضي الله عنه . فجزاؤه الله تعالى أحسنَ
الجزاء .

ومنها غيرُ ذلك ممَّا يطولُ ذكرُهُ ويصعبُ حصرُهُ .
وأما مَنْ أثنى عليه، ومدحه في أثناء كتب التراجم
والطبقات، فخلقٌ كثيرٌ، وجمٌ غفيرٌ^(٢)، لا يُحصيهم إلا الذي
خلفهم .

ورحمَ الله الإمامَ ابنَ دَقِيقِ العيد، فَلَقَدْ أَصَنَفَ في
المقالِ لما سَمَّلَ عن شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية وكان قد
اجتمعَ به - فقال : رأيتُ رجالاً سائرَ العلوم بينَ عَيْنَيْهِ، يأخذُ
منها ما شاء، ويدعُ ما شاء^(٣)
وقال العلامة ابنُ الوردي في « تاريخه »^(٤) لما ذكرَ شيخَ

(١) (ص ١١٥-١١٧) لابن حجر الهيتمي .

(٢) نظر تبت مصادر ترجمته لدي أودعته مقدمتي عن كتاب

« التذكرة والاعتدال والاتصار للأبرار » (ص ١٣ ١٤) لابن شيخ الحرّمين

(٣) « تاريخ ابن الوردي » (٤١٠، ٢)

(٤) (٤٠٨/٢) .

لإسلام : « وهو عحيث في استحضاره، واستخراج الحُجَجِ
منه يعني : الحديث -، وإليه المُتَهَيُّ في عَزْوِهِ إلى الكُتُبِ
السَّنَةِ، و « المُسْنَدُ » ؛ بحيثُ يَصْدُقُ عليه أن يُقال : كُلُّ
حَدِيثٍ لَا يَعْرِفُهُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فَلَيْسَ بِحَدِيثٍ، ولكن الإحاطَةُ لِلَّهِ
تعالى، غيرُ أَنَّهُ يَعْتَرَفُ فِيهِ مَنْ بَحَرَ، وعيره من الأئمة يفترون
من السَّوَافِي » .

فتأمل ما في هذه الشهادة من هذا الإمام، لشيخ
الإسلام لما يدلُّ على كمالِ فضلِهِ، وجلالةِ قدرِهِ .

وقال في « رَحْمَتِهِ » لما ذَكَرَ علماء دمشق، ما نصُّهُ :
« وَتَرَكْتُ التَّعَصُّبَ وَالْحَمِيَّةَ، وَحَضَرْتُ مَحَالِسَ ابْنِ
تَيْمِيَّةَ، فَإِذَا هُوَ بَيْتُ الْقَصِيدَةِ، وَأَوَّلُ الْخَرِيدَةِ^(١)، عُلَمَاءُ زَمَانِهِ
فَلَنُكَ هُوَ قُطْبُهُ، وَجِسْمُهُ هُوَ قَلْبُهُ، يَزِيدُ عَلَيْهِمْ زِيَادَةَ الشَّمْسِ
عَلَى الْبَدْرِ، وَالتَّيْحَرِ عَلَى الْقَطْرِ، حَضَرْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمًا،
فَأَصَبْتُ الْمَعْنَى، وَكَتَابِي، وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنِي، وَقُلْتُ :

إِنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةَ فِي	كُلِّ الْعُلُومِ أَوْحَدُ
أَحْيَيْتَ دِينَ أَحْمَدَ	وَشَرَعَهُ يَا أَحْمَدُ »

(١) هي اللؤلؤة م تنقب

وَلِلَّهِ دَرُّ الْإِمَامِ ابْنِ قَاضِي الْجَبَلِ الْحَنْبَلِيِّ فَمَا أَلْطَفَ قَوْلُهُ
وَأَحْسَنُهُ :

نَبِيِّ أَحْمَدَ وَكَذَا بِمِثْلِي
وَشَيْخِي أَحْمَدَ كَالْبَحْرِ طَامِي
وَاسْمِي أَحْمَدَ فَلَدَاكَ رُجُو

شَفَاعَةً سَيِّدِ الرُّسُلِ الْكَسْرَامِ
يَعْنِي قَوْلَهُ . « وَشَيْخِي أَحْمَدَ » شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ
تَيْمِيَّةَ ، فَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ
نَعْلَى

وَقَالَ أَبُو الْحَكَمِ الْمُرِّي - وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ شَيْخِ
الْإِسْلَامِ : « مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ ، وَلَا هُوَ رَأَى مِثْلَ نَفْسِهِ ، وَمَا
رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَلَا أَتْبَعَ هُما
مِثُّهُ » .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَيْدَمُ الْعَلَّامَةُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ
أَحْمَدُ بْنُ فَضْلِ بْنِ الْعَمَرِيِّ الشَّافِعِيِّ فِي مَرْثِيَّتِهِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي
رَتَّاهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ :

وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ بَعْدَ الصُّحَابَةِ فِي
عَمِّ عَظِيمٍ وَرُهِدٍ مَا لَهُ خَطَرُ

طريقه كان يمشي قبل مشيته
 بها أبو بكر الصديق أو عمر
 فردد المذاهب في أقوال أربعة
 جاؤوا على أثر السباقي واستدروا
 لما تنوا قبله عيا مذاهبهم
 بنى وعمر منها مثل ما عمروا
 مثل الأئمة قد أحيا رمانهم
 كأنه كان فيهم وهو مُتظَر
 إن يرفعوهم جميعاً رفع مُبتدئ

فحقه الرفع أيضاً إنه خبير
 وقال الإمام الحافظ الذهبي في «معجم شيوخه» (١) لما
 ذكر شيخ الإسلام - رضي الله عنه - : «وهو أكبر من أن
 يُنبه على سيرته مثي، فهو خلفت بين الركن والمقام : أنني ما
 رأيت بعيني مثله، وأنه ما رأى هو مثلاً نفسه، لما كنتُ .
 ولد - رضي الله تعالى عنه - في عشر ربيع الأول سنة
 ٦٦١ هـ بحدى وستين ومئة في حراء، وبقي فيها إلى أن
 بلغ سبع سنين، ثم بعد ذلك هاجر والده به وبإخوته إلى
 (١) لم ر هذا الكلام في «معجم شيوخ الذهبي»، وكفي رأيت =

الشام، فنشأ بدمشق أنتم إيشاء وأزكاه، وأنبتة الله أحسن
النبات وأوماه .

وكانت مخايل النجابة عيه في صغره لائحة، ودليل
العناية فيه واضحة، وحج سنة ٦٩١ هـ إحدى وتسعين وست
مئة، وهي السنة التي ولد فيها الإمام ابن القيم تلميذ شيخ
الإسلام .

وتوفي رضي الله عنه في دمشق ليلة الاثنين من دي
القعدة سنة ثمان وعشرين ومبوع مئة هجرية .

تنبيه : إذا تأمل العاقل أنصف سيرة هذا لإمام، وما
خرى له من خصومه من المخ والاعتراضات، وتبين له
صحة أقواله، وقوة أدلتها، علم أن الحامل لهم عن ذلك
الخلاف في العقائد، فإنه - رضي الله عنه - من الأئمة
المعتبرة^(١)، المتمسكين بعقيدة أهل السنة والجماعة، المدافعين
عنها، الذائبين عن جهاها، حتى أنشدت بذلك الأشعار، فمن
ذلك قول بعض الفضلاء :

= نحوه في « المعجم المحدثين بمحدثي العصر » (ص ٢٥) له .
(١) لصفه إباري جل وعلا، وعموم دلائل الكذب والمثنة

إِنْ كَانَ إِثْبَاتُ لَصِّفَاتٍ جَمِيعِهَا
مِنْ عِبَرٍ كَيْفٍ مُوجِباً لَوَمِيٍّ
وَصِيرُ تَيْمِيّاً بِذَلِكَ عِنْدَكُمْ
فَالْمُسْلِمُونَ جَمِيعُهُمْ تَيْمِيٌّ

وبسبب ذلك أرموه بنوازم^(١) هو منها بريء، كالتحسيم
لذي حررت عادة المعطنة الثمارة أن يطلقوه على أهل السنة
المثبتين للصفات، وكنت لشبح رضي الله عنه - طافحة
بإنكار هذا اللازم، فلزامهم إياه باطل.

قال - رضي الله عنه في « شرح حديث التزول » في
أثناء كلام مفيد :

« بل الرمت سبحانه وتعالى - موصوف بالصفات،
وليس حسماً مركباً، لا من الجوهر المردة، ولا من المادة
والصورة .

قلت : الأول، قول أهل الكلام المبتدع، والثاني :
قول الفلاسفة .

ويعني بالمادة : الميولي بزعمهم .

(١) ولازم المذهب ليس مذهب، كما هو الحق عند الأصويين .

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب : « فالجسم في لغة هو بدن، والله منزّه عن ذلك » .

وقال - رحمه الله - في « الرسالة المدنية »^(١) بعد كلام مهم ما نصّه : « من أقصى ما يذكره المتكلم »^(٢) ، - يعني في نفي الصفات الحسّية قوله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] ، وقوله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] ، وهؤلاء الآيات إنّما تدلّ على انتفاء التّجسيم والتّشبيه « انتهى » .

فقد صرّح - رضي الله عنه - في نفي التّجسيم، وأنّ القرآن يدلّ على انتفائه، فهل بعد هذا البيان حجةٌ لمبطلٍ ؟
وقال - رحمه الله تعالى - في « تفسير سورة الإخلاص » : « أمّ نقول بأنّ الله سبحانه مُركَّبٌ مؤلّفٌ من أجزاء، وأنّه يقبل التّجزؤ والانقسام والانعصال، فهذا باطلٌ شرعاً وعقلاً » . انتهى ، فتأمّله .

وصرّح رضي الله عنه - في ردّه على النّصارى^(٣)

(١) (ص. ٣٦٧-٣٦٨ صمن « مجموع فتاوى » ج ٦)

(٢) في « مجموع فتاوى » : « استكف » ، ولعلّ ما هنا صواب

(٣) وهو المسمّى « خوب الصّحيح من نكاح دين المسيح » . =

وعيرو - بتكفير المحسنة .

وقال في « الرسالة المدنية »^(١) : « لا يختلف أهل السنة
أن الله - سبحانه وتعالى - ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ،
ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، بل أكثر أهل السنة من
أصحابنا وغيرهم يكفرون المشبهة والمحسنة » . انتهى .
فهذه نصوص شيخ الإسلام - رضي الله عنه - صريحة
في نفي ذلك اللازم المذموم ، فهل يليق بعاقلي نسبته إليه مع
تصريحه بطلانه ١٩

وبكثرة داء الأئمة قد دب فيهم^(٢) ، يعود بأسه من

= مطبوع في أربعة أجزاء .

(١) (ص ٣٥٦ - ضمن « مجموع الفتاوى » ج ٦)

(٢) « بُشِيرُ الْمُؤَلَّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ - ابْنُ قُورَيْبٍ النَّبِيُّ ﷺ . دَبَّ إِلَيْكُم
دَاءُ الْأَئِمَّةِ قَلْبُكُم ، الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ ، هِيَ الْحَاقَّةُ ، حَالِقَةُ الدِّينِ ، لَا حَالِفَةُ
شَعْر » .

« وهو حديث حسنٌ بمجموع طريقه عن ابن الزبير وأبي هريرة » ، كما
قال شيخنا في مقدمة « سلسلة لأحاديث الضعيفة » (٢٩، ١ - ط ١٤١٢)
ونظر « الإرواء » (٧٧٧) ، و « التصحيح » (٣٥٥/٤) وقدر -
« مشكاة نفقر » (٢٠) . و « نصب الرأية » (٣٥٥/٤) ، و « مختصر روائد
الرئار » (رقم ١٦٩٠) يحافظ من تحبير .

الخدلان .

تسمة : كان شيخ الإسلام - رضي الله عنه - يكره
بإطلاق الألفاظ المبتدعة، فلذلك ظن من لم يمارس كتبه الله
يقول بخلاف مذهب أهل السنة، وحاشاه مما رماه به أعداؤه،
ولله دَرُه - رَوْحُ الله روحه، ورضي عنه - حيث قال في
وصف الثاقبين عليه، وأحسن في المقام .

لو لم نكن لي في القلوب مهابة
لم يطعن الأعداء في وتقدحوا
كالليث لما هيب خط له الربى
وعوت لهيبته الكلاب النجس
يرمونني شرر لبيد لأنسي
غلست في طلب المعالي وصبحوا
ولقد اقتديت به - رضي الله تعالى عنه - في الإعراض
عن الجاهلین المعتدين المحرفين الحاسدين، حيث وقعت لي
عبارة في « الكواكب »^١ في شأن المهدي المنتظر. فهم منها
بعض الناس أنني أكره تحيته، وهذا عطف أو تحامل، فأني لا

١ هو « الكواكب الدرية على الدرّة المضيئة » في العقيدة

أَكْزَرُ نَجِيئَةٍ، وَلَكِنِّي أَقُولُ : إِنَّ جَمِيعَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ
الْمُهْدِيِّ ضِعَافٌ عَلَى كَثَرَتِهَا، مَعَ أَنَّهَا مُعَرَّضَةٌ بِمِثْلِهَا^(١).

وَمِنَ الْمُقَرَّرِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْأَثَرِ أَنَّ الْحَدِيثَ الضَّعِيفَ لَا
يُوجِبُ الْعَمَلَ، فَضْلًا عَنْ وَجوبِ الْإِعْتِقَادِ بِمَدْلُولِهِ، وَإِنَّمَا
تَنْزَعُوا : هَلْ يَجُوزُ الْعَمَلُ بِالْحَدِيثِ الضَّعِيفِ، أَوْ لَا^(٢) ؟

فَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْقُرَيْبِ شَارِحُ « مَشْنُ
الْتَرْمِذِيِّ » : لَا يَجُوزُ مُطْلَقًا

وَقَالَ غَيْرُهُ : يَجُوزُ فِي مَصَائِلِ الْأَعْمَالِ، وَاشْتَرَطُوا بِذَلِكَ
شُرُوطًا، مِنْهَا : أَنْ لَا يُعْتَقَدَ عِنْدَ الْعَمَلِ ثُبُوتُهُ، لِثَلَا يُنْسَبَ إِلَى
لِنَبِيِّ ﷺ، وَإِلَى هَذَا دَهَتْ أَعْرُشُ عَبْدِاسْتِغْلَامٍ، وَابْنُ دَقِيقٍ

(١) لَكِنَّمَا تَقْوَى بِهَذِهِ الْكَثْرَةِ، كَمَا جَزَمَ بِهِ عَيْرٌ وَاحِدٌ مِنْ عُلَمَاءِ
الْحَدِيثِ، فَانْظُرْ بِحَثٍّ نَدِيحًا مَا عَايَنِي تَقْرِيرَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فِي « سِلْسِلَةِ الْأَحَادِيثِ
الصَّحِيحَةِ » (رَقْم ١٥٢٩) لِشَيْخِ الْأَلْبَانِيِّ، وَفِيهِ سَرُودُ أَسْمَاءٍ عَدِيدٍ مِنَ الْأَعْيَانِ
بِذِي صَحِيحِهِ الْحَدِيثِ .

وَمِنْ أَفْهَمِ قَوْلِ الْمُؤَلِّفِ : « مَعَ أَنَّهَا مُعَرَّضَةٌ بِمِثْلِهَا » أَلَمْ يَأْمُرْهُ الْمَعَارِضُ
لَهَا ؟ وَأَيُّنَ هُوَ ؟

(٢) وَفِي رِسَالَتِي « التَّعْرِيفُ بِأَحْكَامِ الْعَمَلِ بِالْحَدِيثِ الضَّعِيفِ » بَحْثُ
بَافِعَةٍ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ فِي تَقْرِيرِ لِحَقِّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ
بِئْسَ اللَّهُ إِتْمَامُهَا

العبد، كما نقله عنها الحافظ ابن حجر، ونقله عنه تلميذه
لسحاوي في « القلوب البديع »^(١).

قله الشَّرحيني في « شرح الأربعين النووية »، وسط
بكلام في هذا البحث سطرًا مفيدًا، والحقُّ ضالَّةُ المزمَن^(٢)
أين ما وحده التقطه

وقال الإمامُ موفقٌ لدبَّرِ بنِ قدامة في كتاب « دَمُّ
التَّأويل »^(٣) : « الأحاديثُ الضَّعيفةُ، إمَّا يَصْغَفُ رُواتُها، أو
جَهاَلَتُهم، أو لَعَلَّتْ فيها، فلا يَجُوزُ أنْ يَقَالَ بها، ولا عِتْقَادُ ما
فيها، بل وحودها كَعَدَمِها »^(٤). انتهى .

١ (ص ٣٦٣)

٢ ويرى الأحاديث المشهورة على لأسنة « الكلمة الحكمة صالَّة
الحكيم، بحيث وجدها فهو أحقُّ بها »

رواه الترمذي (٢٦٨٧)، وابن ماجه (٤١٦٩)، ولعقبي في
« الصَّغَر » (٦١، ١)، وابن عدي في « الكامل » (٢٣٢، ١)
وقد فصل بنُ الحوزي في « العلل لمشاهير » (١١٤) إلى الحُكْمِ عليه
باصْغَفٍ شديد

٣ (ص ٤٧ - تحقيقُ أُحِبُّ بدر الدَّر)

٤ أي : في باب لعقائد

وإذا كَانَ هذا في الصِّفَات التي يَكُونُ مُنْكَرُهَا على خَطَرٍ
عَظِيمٍ، فَكَيْفَ بِهَا لَحْنٌ فِيهِ ۚ
على أَنِّي لَا أُنْكَرُ مَجِيءَ الْمَهْدِيِّ، وَلَكِنِّي أَقُولُ . لَا يَجِبُ
اعْتِقَادُ مَجِيئِهِ^(١)، لَمَّا سَمِعْتُ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ

○○○○○

(١) بل لَا يَنْتَقِيَانِ ۚ فَهَلْ لَا تُنْكَرُ مَجِيءَ الْمَهْدِيِّ اعْتِقَاداً أَمْ لَا ؟ يَدُ
قَصِيَّةُ الْإِنْكَارِ وَعَذَابُهَا عَقَابِيَّةٌ ۚ
وَالصُّوْرُ وَجُودُ اعْتِقَادِ مَجِيءِ الْمَهْدِيِّ، وَهُوَ مِنْ عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ
الْمُرَصِيَّةِ
وَانْظُرْ كِتَابَ « الْمَهْدِيِّ حَقِيقَةُ لَا خُرَافَةَ » لِأَخِي، لِشَيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ وَفَقَّهُ الْمَوْلَى .
وَلِلشَّيْخَيْنِ الْمَاصِيَيْنِ : حَمُودِ التَّوَيْجَرِيِّ، وَعَدَالِمُحْسَنِ لَعَدَدِ كِتَابَانِ
يَذِيعَانِ فِي إِثْبَاتِ ظُهُورِ الْمَهْدِيِّ، فَلْيَنْظُرَا

١٧ - فضل

في ذكرِ كتابِ كتبه بعضُ العلماءِ لأحدِ تلامذته
شيخ الإسلام رضي الله تعالى عنه

ولما كنتُ في بغداد، رأيتُ مكتوباً عندَ بعضِ الفضلاءِ
أُرسلهُ بعضُ علماءِ الشافعيةِ المعاصرينَ لشيخِ الإسلامِ لأحدِ
تلامذتهِ الشيخِ، رحمهم الله تعالى، ثم رأيتُ شيخنا^(١) نقلهُ
في كتابهِ « عاية الأمانِي »، ونحنُ ننقلُهُ هنا عن « غاية
الأمانِي » :

قال مصنفُهُ - أمدنا اللهُ بحياته - : وقد رأيتُ كتاباً
كُتِبَ على ظَهرِ ترجمةِ شيخِ الإسلامِ، وبيانِ منقبهِ، وهي
« الدررُ البهيّةُ في ترجمةِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيمية » للحافظِ
شمسِ الدّينِ بنِ عبدالمهادي المقدسي، وذلك الكتابُ أُرسلهُ

(١) وهو العلامة محمود شكري الآلوسي رحمه الله تعالى، وانظر

« عاية الأمانِي »، (١، ٣٨٧، ٣٨٩) ٤

بعض أفاضل العراق المعاصرين لشيخ الإسلام، وكان من
أكابر الشافعية، وهو العلامة الشيخ عبد الله بن حامد، وهد
كتابه :

(بسم الله الرحمن الرحيم، من أصغر لعباد عبد الله
ابن حامد إلى الشيخ الإمام العالم العاقل، قدوة الأفاضل
والمحافل، المحامي عن دين الله، والذاب عن سنة رسول الله
ﷺ، المعتصم بحبل الله، الشيخ المكرم المبجل أبي
عبد الله (١) - أسبغ الله عليه بعمه، وأيد بإصابته الصواب
لسانه وقلبه، وجمع له بين السعدتين، ورفع درجته في
الدارين، بسمه ورحمته .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد . فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .
ثم وافاني كتابك، وأنا إليك بالأشواق، وم أزل سائلاً
ومستخيراً الصادق والوارث عن الأنبياء التي طب مسموعها،
ومرر ما يسر منها

وما تأخر كتبي عنك هذه المدة ملاً ولا خلاً بيوذة،
ولا نهاؤناً بحقوق إخاء، حاشا أن يشوب الأخوة في الله

(١) هو ابن القيم رحمه الله، كما ستأتي الإشارة إليه

جفاء، ولا أزال أتعلل بعد وفاة الشيخ الإمام، إمام الدنيا
 رضي الله تعالى عنه بالاسترواح إلى أخبار تلامذته
 وإخوانه، وأقاربه وعشيرته، والخصيصين به، لما في نفسي من
 المحنة الضرورية التي لا يدفعها شيء، على الخصوص لما
 طعنت على مباحثه واستدلالاته التي تزلزل أركان المبطلين،
 ولا يثبت في ميدانها سفسطة المتكسفين، ولا يقف في حجبها
 أقدام المتدعين من المتكلمين.

وكنت قبل وقوفي على مباحث إمام الدنيا - رحمه
 لله - قد طالعت مصنفات المتقدمين، ووقفت على مقالات
 المتأخرين من أهلي الإسلام^(١)، فرأيت فيها الزخارف
 والأباطيل التي بأنف لمسلم الضعيف في الإسلام أن يخطر
 بباله فضلاً عن القوي في الدين، فكانت تبع قلبي، ويحزني
 ما بصير إليه الأعاطل من المقالات السقيمة، والآراء الضعيفة
 التي لا يعتمد جوارها آحاد الأمة

وكنت أفترض على السنته المحصية في مصنفات المتكلمين
 من أصحاب الإمام أحمد - رحمه الله - على الخصوص،
 لاشتهارهم بمنصوصات إمامهم في أصول العقائد، فلا أحد

(١) كالملاسفة، والمتكلمين، والمنصورفة

عندهم ما يَكفي، وكنت أراهم يتناقضون، إذ يؤصلون أصولاً يلزم فيها ضد ما يعتقدونه، ويعتقدون خلاف مقتضى أدلتهم .

فلذا جتمعت بين أقاويل المعتزلة والأشعرية، وحنابلة بغداد^(١)، وكرامية خراسان، أرى أن إجماع هؤلاء المتكلمين في المسألة الواحدة على ما يُخالف الدليل العقلي والتقلي، فيسوّي ذلك، وأطل أحزنُ حزنًا لا يعلم كنهه إلا الله تعالى، حتى قاسيت من مكابدي هذه الأمور شيئاً عظيماً، لا أستطيع شرح أسره، وكنت ألتجئ إلى الله سبحانه وتعالى، وأنصرع إليه، وأهرب إلى ظواهر النصوص، وألج المعقولات المشينة، والتأويلات المصنوعة، لئلا يفطر عن قولها .

ثم قد تشببت فطري بالحق الصريح في أمهات المسائل، عبرة متحسرة عن التصريح بالمجاهرة قولاً، وتصحيحاً للعقد، حيث لا أراه مأثوراً عن الأئمة وقدماء السلف^(٢)، إلى أن قدر الله - سبحانه وتعالى - وقوع تصنيف الشيخ الإمام إمام الدين في يدي قَبيل وقعت الأخيرة بقيل، فوجدت فيه ما

١ ليسر سواة ١

٢ أي الخصوص فيه ردّاً على الشبهات، ونقصاً للإشكالات

نَهَرَنِي فِي مُوَافَقَةِ فِطْرَتِي ، لَمَّا فِيهِ مِنْ عَزْوِ الْحَقِّ إِلَى أَثْمَةِ السَّئَةِ ،
وَمُتَلَفِ الْأُثْمَةِ . مَعَ مُطَابَقَةِ الْمَعْقُولِ وَالْمَقُولِ ، فَبُهِتُ لَذَلِكَ
سُرُوراً بِالْحَقِّ ، وَهَرَجاً بِوُجُودِ الضَّائَةِ الَّتِي لَيْسَ بِفَقْدِهَا عَوَضٌ ،
فَصَارَتْ مَحَبَّةً هَذَا الرَّجُلِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مَحَبَّةً ضَرُورِيَّةً ، تَقْصُرُ
عَنْ شَرْحِ أَقْلِهَا الْعَبْرَةَ وَلَوْ أُطْبِئَتْ .

وَلَمَّا عَزَمْتُ عَلَى الْمَهَاوِرَةِ إِلَى لُقْبَاهِ ، وَصَنَعِي خَبِيرَ اعْتِقَالِهِ ،
وَأَصَابَنِي لَدَيْكَ الْمَقِيمُ الْمُقْعِدُ .

وَلَمَّا حَاجَجْتُ سِتَّةَ ثِنَايَ وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، صِغَمْتُ
الْعَرَمَ عَلَى السَّفَرِ إِلَى دِمَشْقَ لِأَتَوْصَلَ إِلَى مَلَاقَاتِهِ بِذِلِّ مَا أُمَكِّنُ
مِنَ النَّفْسِ وَالْمَادِّ لِلتَّفْرِيجِ عَنْهُ ، فَوَدَّيْ خَبِيرَ وَفَاتِهِ - رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى - مَعَ الرَّهْجِ إِلَى الْعِرَاقِ قُبَيْلَ وَصُولِي إِلَى الْكُوفَةِ ،
فَوَجَدْتُ عَلَيْهِ مَا لَا يَجِدُ الْأَخُ عَلَى شَقِيْقِهِ - وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ - بَلْ
وَلَا الْوَالِدُ الثَّائِلُ عَلَى وَلَدِهِ ، وَمَا دَخَلَ عَلَى قَبْرِي مِنَ الْحُرْنِ
لَمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ الْوَلَدِ وَالْأَقْدَرِ وَالْإِخْوَانِ ، كَمَا وَجَدْتُهُ عَلَيْهِ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَا تَحْبِلْتُهُ قَطُّ فِي نَفْسِي ، وَلَا تَمَثَّلْتُهُ فِي
قَلْبِي ، إِلَّا وَبِتَجَدُّدٍ لِي حُزْنٌ جَدِيدٌ كَأَنَّهُ مُحَدَّثٌ .

وَوَاللَّهِ مَا كَتَبْتُهَا إِلَّا وَأَدْمَعِي تَتَسَاقَطُ عِنْدَ ذِكْرِهِ أَسْمَاءٌ عَلَى
فِرَاقِهِ ، وَعَدَمِ مَلَاقَاتِهِ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَلَا خَوْفَ

ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم .

وما شرحتُ هذه التُّذرة من محبَّة الشيخ - رحمه الله تعالى - إلا ليتحقَّق بُعدي عن تلك الوهُوم، يكنَّ لَمَّا سَبَقَ الوعدُ الكريمُ منكم بإفادِ فهرسٍ^(١) مُصنَّفات الشيخ - رضي الله عنه - وتأخَّرَ ذلك عني، اعتقدتُ أنَّ الإضرابَ عن ذلك نوعُ تَفَيُّتٍ^(٢)، أولعُذِرٍ لا يَسْتَمْنِي السُّؤَالُ عنه، فسكتُ عن الطَّلَبِ نَحْشِيَةً أَنْ يَدْحَقَ أَحَدًا صَرَرٌ - والعياذُ بالله - بسببي، لما كَانَ قَدْ اسْتَهَرَّ مِنْ تِلْكَ الْأَحْوَالِ، فَإِنْ أَنْعَمْتُمْ بِشَيْءٍ مِنْ مُصَنَّفَاتِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، كَانَتْ لَكُمْ الْحَسَنَةُ عِنْدَ اللَّهِ عَلَيَّ بِذَلِكَ، فَمَا أَشْبَهَ كَلَامَ هَذَا الرَّجُلِ بِالتَّعَبِيرِ الْخَالِصِ الْمُصَفَّى !

وقَدْ يَقَعُ فِي كَلَامٍ غَيْرِهِ مِنَ الْعِشْرِ وَالشُّبُهَةِ الْمُدْلَسِ بِالنُّشْرِ عَلَى مَا لَا يَنْتَفِي عَنِ طَالِبِ الْحَقِّ بِحَرَصٍ وَلَا عَدَمِ هَوًى، وَلَا أَزَالُ أَنْتَعِبُ مِنَ الْمُتَسَيِّئِينَ إِلَى حُبِّ الْإِنْصَافِ فِي الْبَحْثِ،

(١) وللعلامة ابن القيم رحمه الله كتاب « أسماء مؤلفات شيخ الإسلام بن تيمية »، فمِلْ مَا هُوَ إِشَارَةٌ إِلَيْهِ، وَالْكِتَابُ مَطْرُوحٌ

(٢) حَشِيَّةٌ بَطَّشَ أَهْلُ لِبَدَعٍ وَكَيْدِهِمْ، لَا كَتَفَيَّةٌ شِيعَةٌ لِشِيعَةٍ إِنِّي هِيَ مِنْ أَصُولِ دِيهِمْ .

المبرزين على أهل التقليد، أن العقولات التي يرعمون أن
مستندهم الأعظم يصريح بها ! كيف يُبينون ما أوضحه
الحق، وكشف عن قبايعه ؟
وقد كان الواجب على الطلبة شد الرحل إليه من الآفاق
ليروا العجب .

وما أشبه حال المباينين له من المتسيير للعلم، الطالبين
للحق يصريح الذي عيهم وجدائهم، بحال قوم ذبحهم
العطش والظمأ في بعض الممارات^(١)، فحين أشرفوا على
الثلج، لمع لهم شط كالفراة أو دجلة أو النيل، فعند معاينتهم
لدلت اعتقده سرّاً لا شرباً، فتولّوا عنه مدبرين، فتقطعت
أعناقهم عطشاً وظمأً، فالحكم لله العبي الكبير .
وما أرسلنا المقاتلة من الطرفين، فيه تعسف، وتهمدون
لعدو في الإطنا^(٢) .

فهذا الذي ذكرته من حالي مع الشيخ، كالقطرة من
لتحراء وإن أنعمتم باستلام على أصحاب الشيخ وأقاربه

(١) الصحاري

(٢) في حاشية « غاية الأمان » (٣٨٩/١) « كذا في الأصل، وفي
لعدة شيء من عدم الوضوح »

كبيرهم وصغيرهم، كَانَ ذَلِكَ مُضَافاً إِلَى سَابِقِ إِنْعَامِكُمْ .
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَأَنْتُمْ فِي أَمَانٍ اللَّهُ
تَعَالَى وَرِعَايَتِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .
عبدالله بن حامد)

فَإِذَا تَأَمَّلَ الْفَاصِلُ الْمُنْصَفُ وَصَفَ كُتُبَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ
بِهَذَا الْكِتَابِ، عَلِمَ صَدَقَ مَا قَالَهُ بَعْضُ الْأَثَمَةِ مِنْ أَنَّ
الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَ الْاِعْتِقَادَ الصَّحِيحَ الْوَاجِبَ
اِعْتِقَادُهُ إِلَّا بِقِرَاءَةِ كُتُبِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، لِسَلَامَتِهَا مِنَ الْبِدْعِ
وَالْتَّنَاقُضِ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ، وَرَضِيَ عَنْهُ .
وَمَا ذَكَرْنَا هَذَا الْكِتَابَ إِلَّا لِإِرْشَادِ الْطُلَّابِ إِلَى مَعْرِفَةِ
قَدْرِ كُتُبِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ، حَيْثُ إِنَّ مَوْضُوعَ كِتَابِنَا هَذَا هُوَ
النُّصِيحَةُ وَالْإِرْشَادُ إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، وَبَيَانُ أَسْبَابِ تَحْصِيلِهِ،
وَأَدَابِهِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَوْفَقٍ لِلصَّوَابِ .

خاتمة

نسأل الله حُسنَ الخاتمةِ

قد أكَثَرَ العلماءُ العاملونَ، والأئمةُ المُتَّقونَ، من إرشادِ العبادِ إلى ما فيه لهم خيرُ الدُّنيا والآخرةِ، وهو تَقْوَى اللَّهِ تعالى في السِّرِّ والعلانيةِ، وقد وصَّى اللَّهُ تعالى جميعَ عبادهِ بالتَّقْوَى^(١)، ووصَّى بها النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتُهُ^(٢).

فحَفِظَ العلماءُ والأئمةُ وصِيَّةَ اللَّهِ تعالى، ووصِيَّةَ رسولِهِ ﷺ، فَرَأَوْا اللَّهَ تعالى، وأَمَرُوا بِخَشِيَّتِهِ، وحَذَرُوا الاغْتِرَازَ بِسُطُوتِهِ، كما قَالَ الإمامُ الدُّلَيجي^(٣):

(١) كما في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ...﴾ في آياتٍ عدَّةٍ.

(٢) كما في حديثِ العِرباضِ بنِ سارية مرفوعاً: «أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ...».

انظر تَهْذِيبَهُ فِي «الذُّرْرِ الْعَالِيَةِ» (ص: ٣٢، ٣٣ - بتحقيق).

(٣) في «الفَلَائِكَةِ وَالْمَقْلُوكُونَ» (ص: ١٨٣).

« فلا تَغْتَرَّ بِشَسْتَرٍ وَالحيلة، فَبِنَ لِلَّهِ عُيُونٌ مِنَ الْمَكُونِ
 نَاطِرَةٌ إِلَيْكَ، وَإِنَّ لِلطَّاعَاتِ عَثَمًا وَشِدَى تَفْوُخٍ عَلَى أَهْلِهَا وَإِنْ
 كَتَمُوهُ، وَلِلْمَعَاصِي شَتَاً وَدَقْرًا تَفْوُخٌ عَلَى أَهْلِهَا وَإِنْ أَخْفَوْهَا
 وَإِذَا نَزَعْتَ عَنْ ابْغْوَايَةٍ، فَلْيَكُنْ لِلَّهِ ذَلِكَ تَسْرُعٌ لَا
 لِلنَّاسِ، وَكُنْ تَوَّابًا رَحِيمًا، أَوَّابًا إِلَى اللَّهِ، عَظِيمَةَ الْإِلتِحَامِ
 إِلَيْهِ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِقُوَّتِهِ، وَبِهِرَ قُدْرَتِهِ، مَتَمَلِّقًا لَهُ، خَاصِعًا
 لَجَلَالِهِ، وَكُنْ كَثِيرَ الدُّعَاءِ وَالِإِطَاعِ بِأُصْحَابِهِ تَعَالَى، وَلَهُ الْحَمْدُ،
 فَإِنَّ الدُّعَاءَ نَسِيبُهُ إِلَى اسْتِحْلَابِ الْمَطْلَبِ كُنْسِيَةِ الْفِكْرِ إِلَى
 اسْتِدْعَاءِ الْمَطْلُوبِ الْعِلْمِيِّ » .

قال عليه السلام : « الْبُطُوحُ : يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ »^١
 قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ قُلْ مَا يَتَّبِعُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا
 دُعَاؤُكُمْ ﴾ [الفرقان: ٧٧] .

وقال الإمام النُّوْوي رحمه الله تعالى في بيان لوصوب
 إلى الله تعالى : وهو بالتَّوْبَةِ من جميع لمَحْرَمَاتِ
 والمَكْرُوهَاتِ، وَطَلَبِ الْعِلْمِ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَالْمُلَازِمَةِ عَلَى
 الطَّهَارَةِ، وَأَدَاءِ الْقَرَائِصِ، وَالزُّوَاتِ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا جَمَاعَةً،

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ (١٧٧/٤) . وَالْحَاكِمُ (١/٤٩٨) ، وَعَبْرَهُ عَنِ رِيعِهِ

ابن عمر، سَلَسَ صَحِيحٌ .

وملازمة ثمان ركعات الضحى .

قلت . وعندما تُسَلِّصُ صلاة الضحى غِيَاً^(١) ، وأقلها ركعتان ، وأكثرها ثمان ، وست ركعات بين المغرب والعشاء^(٢) ، وصلاة الليل ، والوتر ، وصوم الاثنين والخميس ، وثلاثة الأيام البيض ، والأيام الفاضلة ، وتلاوة لقُرْآنٍ بِخُصُورٍ والتَّذِيرُ ، والإكثار من الاستغفار ، والصلاة على النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وملازمة أذكارِ لسنةٍ وصباحاً ومساءً .
ومنها : « اللَّهُمَّ لَكَ تُصْبِحُ وَبِكَ تُمَسِّي ، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ ، وَإِبِكَ الشُّشُورُ صَاحَا ، وَ « . المصير » مساءً .
« أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ اللَّهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَالْكَرِيَاءُ لَهُ ، وَالْعَظَمَةُ لِلَّهِ ، وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا سَكَنَ فِيهَا اللَّهُ ، اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ نَاحِدٍ مِنْ خَلْقِكَ ، فَمَنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، فَالْحَمْدُ وَلَكَ لِشُكْرِكَ ثَلَاثًا .
« اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَشْهَدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَحَمِيمَ خَلْقِكَ ، إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ » أربعاً^(٣) .

١ . ولا دليل على ذلك ثبت ، وكثيراً مما سيأتي منه من حيث الغدد

٢ . تقييد ذلك بالصباح والمساء لا يثبت ، وهو دون ذلك صحيح =

« رَضِيتُ بِاللَّهِ تَعَالَى رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا » ثلاثاً .

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُمْ وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا مَتِيعْنَا وَأَطْعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحِثْ عَلَيْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦]

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩] سبعاً^(١) .

= فانظر « الصَّحِيحة » (١٠٤١) ، و « الصَّحِيحة » (٢٦٧) ، و « الكَمِ الطَّيِّب » (ص ٣٤٠)

(١) وَرَدَّ قِرَاءَةُ هَذِهِ الْآيَةِ سَبْعًا فِي حَدِيثٍ شَدِيدٍ الضَّعْفِ حَدَّثَ ابْنُ السَّنَنِ فِي « عَمَّنِ ابْنِ مَرْزُوقٍ » (رَقْم ٧١٠) عَنْ أَبِي الْقُرْدَمِ ، مَرْفُوعًا ، وَعَدَّ لِي دُود (رَقْم ٥٠٨١) مَوْقُوفًا عَنْهُ .

وانظر : « صَعِيفُ سَنِّ لِي دُود » (رَقْم ١٠٨٥) .

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ○ وَهُوَ
الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ○
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم: ١٧-١٩] .
« أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » ثلاثاً.
﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ ... ﴾ إلى آخرِ سورة
الحشر، و « الإخلاص » و « المعوذتين » ثلاثاً
« بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا
فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » ثلاثاً
« أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ، مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ
عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونَ » ثلاثاً
« أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
وَأَتُوبُ إِلَيْهِ » ثلاثاً
« سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ » ثلاثاً، « سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ،
عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَى نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ » ثلاثاً.
وإذا اتسع الوقت، فقل : « سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ،
وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ » مئة مرة .
و « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ » كذلك مئة

مرّة « لا إله إلا الله الملك الحق المبين » كذلك مئة مرّة .
« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله
الحمد ، وهو على كل شيء قدير » كذلك مئة مرّة ، أو ثلاثاً .
« اللهم صل على سيّدنا محمد عبدك ورسولك ونبيتك
وحبيبك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم » ثلاثاً ، أو
كذلك مئة مرّة .

قال الإمام لثوي - رحمه الله - بعد أن ذكر ذلك :
وفي هذا قدر كفاية لذوي العبدية ، ولله الموفق
لهدايته ، وهو يهدي السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل
وحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة
والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم إلى
يوم الدين .

وقد وقع الفراغ من تأليف هذه الرسالة أميدة إن شاء
الله تعالى بعد العصر من يوم الاثنين الموافق ثلاثاً وعشرين من
دي الحجة سنة ١٣٣٦ هـ ست وثلاثين وثلاث مئة وألف في
المدرسة الأثرية المنشأة في بلب الدوحة من بلاد قطر على يد
مؤلفها ، فقير إلى عفوّه محمد بن عبدالعزيز دافع ، غفر الله
ذنوبه ، وسر عيونه ، آمين .



فهرس فوائد التعلیقات

٦ حال من لم يقدّر العلم
حديث « أُنْجِيا نَاشِيءَ نَشْأَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ .. »
٢٥ وبيان نكارتِهِ
حديث قَبْضِ الْعِلْمِ وبيان أَنَّهُ مِنْ أَعْلَامِ نَبْوَةٍ
٢٨ رسوله ﷺ
٥٥ تخريجُ حديثٍ : « خَيْرُ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ ... »
حديثٌ : « فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ
عَابِدٍ » وبيان شِدَّةِ صَعَمِهِ
٦٢ كثير بن قيس لا « جميل بن قيس »
٦٣ بيان صَحَّةِ حديثِ « الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ »
٦٧ التَّنْبِيهُ عَلَى خَطَأِ قَوْلِهِمْ : « خَلِيفَةُ اللَّهِ »
حديثٌ : « تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَتَعَلَّمُوا السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ ... »
٧٣ وإيراد طَرُقِهِ شَدِيدَةِ الضَّمَمِ !
٨٢ مِنْ (التَّعْطِيمِ) الَّذِي لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ !

- ٩٠ « آفة العلم النسيان » صعيّف مرفوعاً، صحيحٌ موقوفاً ...
- ٩٦ تخريجٌ مُطوّلٌ لحديث « يَأْكُمُ وَالْحَسَدُ .. »
- فائدةٌ حولَ الكُتُبِ، وأنها للعلمِ والعقلِ، لا لمُحرِّدِ
- اجمع والتَّجَمُّلِ ! ١٠١
- من أساليبِ أفراخِ الجهميّةِ المُعاصرينِ ١٠٤
- تنبيهٌ : عقيدةُ الجهميّةِ الثَّقاةِ ... والجهميّةِ الحَبُولِيَّةِ ١٠٦
- الإشارةُ إلى هَفَوَاتِ « منازل السائرين » ! ١٠٦
- فائدةٌ حولَ نبيِّ (المُهَاجَةِ) عن الله سبحانه ١٠٧
- تنبيهٌ حولَ (جماعاتِ الغُفُورِ) وآثارها السَّلْبِيَّةِ ١٠٩
- حالُ نُؤَابِ إبليس في الأرض في تشبيلهم النَّاسَ عن
- العلمِ والعلماءِ ١١٣
- تنبيهٌ حولَ أَلِدَاءِ الحُصُومَةِ، وَبِرَكَةِ (الإِعْرَاضِ) عَهِمِ
- وَوَكَّلِ حَالِمِهِ إِلَى اللَّهِ ١١٣
- الإشارةُ إلى حَدَاثَةِ العِلْمَانِيِّينَ ... فَاحْذَرُوها ١١٦
- الإشارةُ إلى « فضلِ : لا أُدْرِي » ١١٧
- فائدةٌ حولَ « منظومةِ الآدابِ » وشرحها ١٢٠
- نُبْذَةُ عَنِ الحَسَنَاءِ رَفِيقِ الدِّينِ ! ١٢٥
- لازِمُ المذهبِ ليس بمذهب ١٣٢

- فوائد حول صحّة أحاديث المهدي ١٣٦
تخريج حديث « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ... »
وبيان أنّه ضعيف ١٣٧
عقيدة ظهور المهدي عقيدة سنّية ثابتة ١٣٨
التقيّة خشية أهل البدع ... لا كتقيّة الشيعة ١٤٤
حديث « اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة
عرشك ... » صحيح دون قيد الصباح والمساء ١٤٩

○○○○○

فهرس الكتاب

٥	تقديم
٩	نبذة عن ترجمة المؤلف
١١	تقريظ « إرشاد الطالب »
	إرشاد الطالب
١ - فصل :	في النبئة وأنه يجب على كل عامل بر
١٩	إخلاص لله
٢ - فصل :	في الحضرة على التعلم في الصغر
٢٥	٣ - فصل :
٢٩	في الحث على حفظ العلم وبيان أسبابه ...
٤ - فصل :	في ذكر حكاية الزهري مع الخليفة
٣٣	عبد الملك بن مروان
٥ - فصل :	في ذكر أول من صنف من علماء الإسلام ..
٣٩	٦ - فصل :
٤٧	في الحث على تقييد العلم بالكتابة
٥١	٧ - فصل :
	في فضيلة العلم وبيان فضله
٦١	٨ - فصل :
	في فضيلة الرحلة في طلب العلم

- ٩ - فصلٌ : في بيانِ فضيلةِ نشرِ العلمِ والدَّعوةِ
إلى الله تعالى ٦٧
- ١٠ - فصلٌ : فيما ينبغي لناشرِ العلمِ أن يتحلَّى به
من الفضائل ٧١
- ١١ - فصلٌ : في جُمَلِ نافعَةٍ من آدابِ المتعلِّم ٧٧
- ١٢ - فصلٌ : في بيانِ آفةِ العلمِ وكراهيةِ وضعهِ
عندَ مَنْ ليسَ من أهلِهِ ٨٩
- ١٣ - فصلٌ : في بيانِ الإنصافِ في العلمِ، وأنَّه
يُريُّ العالم ٩٩
- ١٤ - فصلٌ : في فوائدَ مهتمةٍ وحِكَمٍ مُفيدَةٍ، حَقِيقٌ
بطالبِ العلمِ فَهْمُهَا ١١١
- ١٥ - فصلٌ : في فضيلةِ كُتُبِ العلمِ، وبيانِ الاستغناء
بها عنِ مُجالسةِ أكثرِ النَّاسِ ١١٩
- ١٦ - فصلٌ : في تنبيهِ ذوي الأفهامِ، على نُبذةٍ من
فضائلِ الإمامِ شيخِ الإسلامِ، ومؤلَّفاتِهِ العِظامِ ١٢٥
- ١٧ - فصلٌ : في ذكرِ كتابٍ كَتَبَهُ بعضُ العلماءِ لأحدِ
تلامذَةِ شيخِ الإسلامِ رضيَ اللهُ تعالى عنه ١٣٩
- خاتمةٌ : نسألُ اللهَ حُسْنَ الخاتمةِ ١٤٧